اقرأ

الدكتور عبد المنعم أبو بكر

# أساطير مصرية

# أساطير مصرية

الدكتور عبد المنعم ابو بكر

# أساطير مصرية

اقرأ ١٣٤
دار المعارف للطباعة والنشر بمصر

اقرأ ١٢٤ – أول فبراير ١٩٥٤



جميع الحقوق محفوظة
لدار المعارف بمصر

## مقدمة

مصر – هذه السهول المنبسطة على جوانب النيل – كانت ولا تزال محط أنظار العالم تبهره بحضارتها وتعاليمها كما تدهشه بتوثبها وحيويتها .

لقد كانت دهشة الإغريق كبيرة عندما وجدوا فى وادى النيل حضارة موغلة فى القدم ولكنها رغم جمودها ما زالت تبعث فى النفوس الرهبة والاحترام ، فاضمر الإغريق الوقار لشعب مصر العريق فى حضارته ونظروا إلى معابده نظرتنا الآن إلى محاريب العلم والمعرفة المنتشرة فى أوروبا وأمريكا ، فكم من عالم إغريقى حج إلى وادى النيل وهدفه الأول أن ينهل من مواردها العلمية وفى نفسه أمل يراوده فى أن كهنة مصر قد يساعدونه فى الكشف عن سر هذا العالم .

وبقى هذا الاحترام بل أخذ يزداد من قرن إلى قرن وأخذ ينتشر بعد أن تسرب بين طبقات الشعب المختلفة وأصبح كل الناس يحتفلون بآلهة مصر بعد أن اندمجت فى آلهة الإغريق والرومان .

وعاش اعتقاد العالم اليونانى الرومانى بأن مصر هى بلاد

الحكمة والأسرار دهوراً طويلة وليس العهد ببعيد عند ما كان الناس يتحدثون عن الأهرام والتوابيت المصرية والمسلات على أنها أشياء سحرية غامضة .

وظل مايعرفه العالم عن مصر القديمة قليلا ضئيلا حتى أوائل القرن التاسع عشر أى عندما اتخذ نابليون فى عام ١٧٩٨ أهبته لغزو مصر . فبدأت صفحة جديدة فى تاريخ البلاد ، إذ فى الوقت الذى كانت فيه الجنود الفرنسية تحارب المماليك كانت هناك حملة أخرى علمية من الفرنسيين أيضاً تجوب البلاد ، مهمتها دراسة كل ما يتعلق بمصر . فبحثوا جغرافية البلاد وحيواناتها ونباتاتها وحرفها كما درسوا أخلاق الناس وعاداتهم وآثارهم ونقلوا النقوش القديمة التى كانت وقتئذ ظاهرة على معابد البلاد . وسواء أكان السبب الذى دعا نابليون إلى تزويد حملته هذه بطائفة كبيرة من العلماء للدرس والتدوين هو حبه فعلا للعلم أم كان يريد من وراء ذلك شهرة ومجداً فى ميدانى العلم والحرب ، فإن هذا العمل سجل فى التاريخ بين الأعمال الكبيرة التى قام بها هذا الرجل الفذ فقد تمكن من أن يحرر مصر القديمة من الظلام الذى ظل يكتنفها قروناً طويلة .

وقام علماء نابليون بالمهمة التى نيطت بهم بهمة ونشاط يستحقان كل إعجابنا .ويعتبر مؤلفهم العظيم « وصف مصر »

( Description de l'Egypte ) الذى حوى دراساتهم المتعددة لكل ما يتعلق بمصر بداية طيبة للأعمال العلمية التى تهدف إلى دراسة مصر القديمة .

غير هذا فقد وفق رجال نابليون إلى كشف هام هو الذى حقق لنا كل ما وصلنا إليه من حل رموز اللغة الهيروغليفية بسرعة لم تكن منتظرة . فقد حدث فى أغسطس سنة ١٧٩٩ عندما كان بعض رجال الحملة يقومون بحفر خندق حول قلعة «سان جوليان» فى رشيد بالقرب من المصب الغربى للنيل أن عثروا على حجر من البازلت كتب على وجهه الأمامى نقش بثلاث لغات : —

١ — العليا منها كتبت بالهيروغليفية

٢ — الوسطى نقشت بالديموطيقية

٣ — السفلى دونت باليونانية

ولما كان النص المكتوب باليونانية سهل القراءة — إذ أن اليونانية كانت لغة مفهومة مدروسة — فقد فهم العلماء منه أن هذا الحجر يتضمن قراراً للكهنة المصريين بتكريم بطليموس إبيفانوس ( بطليموس الخامس ١٩٦ ق . م ) على أن يسجل هذا التكريم باللغة المقدسة ( الهيروغليفية ) واللغة الشعبية ( الديموطيقية ) وباليونانية .

وكان هذا الكشف مثاراً للتنافس بين علماء أوروبا فقصدوا مصر وقاموا بجهود جبارة لفهم رموز اللغة المصرية القديمة ومن أهم هؤلاء العلماء شمبليون الفرنسى ولبسيوس الألمانى .

وبدأ الظلام الذى غلف هذه الحقبة من تاريخ مصر ينقشع وأخذ العالم يتطلع إلى مصر ويتتبع الجهود التى تبذل لفهم حضارتنا العريقة وعلم الناس والدهشة تملأ قلوبهم أن الشعب المصرى كان صاحب مدنية وعلم وفن بز مدنيات وعلوم وفنون الشعوب القديمة جميعاً .

ومنذ مستهل القرن العشرين أجريت عدة حفائر علمية منظمة فى أماكن لا حصر لها من مصر وتهافت على مصر العلماء من الفرنسيين . والإنجليز والإيطاليين والألمان والبلجيكيين والنمساويين والأمريكيين وقاموا بالحفر ونشروا نتائج أعمالهم ، كما أخذ المصريون منذ عهد قريب يساهمون فى هذه الدراسات . وقام البعض منهم بالتنقيب وتأليف الكتب ؛ وسجلت العشرون سنة الأخيرة نصراً كبيراً لعلماء مصر فى جهودهم العلمية كما سجلت لهم أيضاً مقدرة فى التأليف .

# كلمة عامة عن المعتقدات المصرية

يقولون إن الشعور الغريزى بالخوف والفزع هو الذى دفع الإنسان الأول إلى احترام كل القوى العظمى التى تؤثر فى حياته دون أن يتعرف كنهها . ومن هذا الشعور الغريزى أيضاً نشأت الديانة .

إن الإنسان الأول الذى عاش على الصيد والقنص والذى سكن الكهوف واكتسى بأوراق الأشجار أو جلود الحيوان كان يتطلع إلى العالم المحيط به ويشعر ويحس بالقوى التى تسيطر على هذا العالم إلا أنه لم يستطع أن يميزها أو يصل إلى أصلها .

حقاً لقد كون فى مخيلته صوراً لها ، كما أخذ يعطى لكل منها اسماً معيناً بل لمس أن بين هذه القوى ما ينفعه فصادقها ، ومنها ما يضره فعاداها . وأخذ يتصور الأشياء التى تدخل السرور إلى نفسه كما عرف ما يثيرها . ولا غرابة فى ذلك فهو إنسان له صديقه كما أن له عدوه . وعرف أن الصديق من ينفع والعدو هو من يضر .

ومرت العصور الأولى على الإنسان الأول وتطورت أساليب حياته وتكونت الأسرة ومن ثم عرف الإنسان التكتل فظهرت

القبيلة وتكونت الأمة . هذه الخطوات الحاسمة فى تاريخ البشر استتبعت أيضاً تغيراً فى نظرته إلى تلك القوى الخفية وأخذت أهداف الإنسان المدنية تسمو شيئاً فشيئاً وتتركز حول التعرف على ما يحويه ذلك العالم البعيد عن حياته اليومية .

واختص الدين المصرى بطابع ميزه عن غيره من الأديان استمده من بيئته الخاصة : أرض خصبة وسماء مشرقة ونيل فياض يأتى كل عام بالخيرات . ولكن مصر حوت قوى طبيعية أخرى غير النيل سيطرت على المصرى وأجبرته على أن يفكر فيها ليعرف كنهها ــ هناك الشمس التى تظهر صباح كل يوم من وراء الجبال فى الشرق فتجلب له الدفء والحياة . ومما لا يقبل الشك أن النيل والشمس كان لهما أثر قوى ظاهر فى حياة المصرى . فأول تفكير فى تعيين الاتجاهات الأربعة اتخذه من النيل وعرف الجنوب قبل أن يعرف الشرق . فالجنوب هو الاتجاه الذى يأتى منه النيل بفيضانه الجبار فترتفع المياه وتغمر حقوله وتكسبها الخصب . وكذلك هو النيل الذى يسبب له أحياناً الدمار والخراب إذا ما ارتفع فوق جسوره فيغمر قراه ويهلك الحرث والنسل . ومن الغريب أن من بين الألفاظ التى يطلقها المصرى على الجنوب لفظ يستعمل أيضاً للدلالة على كلمة « الوجه » . أما الشمال فيستعمل له كلمة تدل أيضاً على

مؤخرة الرأس .

ولقد بهرت السماء المصرى بنجومها وقمرها وأخذه العجب من أمر السحب التى تتكاثف فتحجب الشمس، وبعد لحظات يدوى الرعد ويسطع البرق وتهطل الأمطار وتتراءى له كما لو كانت هناك حرب شعواء قامت فى السماء بين قوى لا يعرف من أمرها شيئاً .

فهل نعتقد نحن أن كل هذا لم يكن كافياً ليجبر المصرى على التفكير فى أمر هذه المظاهر الغريبة وهذه القوى الخفية . لقد فكر المصرى ولم يستطع إلا أن يجعل من كل هذه القوى آلهة مختلفة . بل كانت لديه هى الآلهة الكبرى، لقد خافها ورهب جانبها وشعر بجبروتها وعظمتها وقوتها وسيطرت عليه . وإذا كان الحيوان يخاف المخلوقات الغريبة التى لا يعرفها فيهرب منها[١] ، فإن الإنسان البدائى كان يتعبد إلى كل ما خفى عليه أمره .

---

( ١ ) حدث أن باغت أسد سيدة ولم يكن لديها ما تدافع به عن نفسها سوى مظلتها التى نشرتها فى وجه الأسد . فجزع الأسد وولى هارباً . كما أن من المعروف عن صيادى الأسود فى السودان أنهم يتزودون ببعض الدجاج يستعملونه إذا ما هاجمهم أسد بأن يرمونه بإحداها فيفزع لصياحها الغريب عليه أشد الفزع ويسرع فى الهرب .

ولكن المصرى وهو هذا المخلوق الضعيف الذى يحيا فوق الأرض ، تساءل فى حيرة عن علاقته بهذه الآلهة الكبرى ؟ هل كانت تهتم بأمره وتسعى لمعونته إذا ما حلت به الأزمات ؟ هل كانت هذه الآلهة تسرع إلى إغاثته اذا هاجمه عدو أو مرضت ماشيته ؟ ولكنه عرف بغريزته ان هذا بعيد التحقيق . فقد كانت آلهته تحيا فى السماء . . .

إذن فقد وطد العزم على أن يجد آلهة أخرى قريبة منه تساعده وتكون سنده ، فتشد من أزره وتخفف من ويلاته . وفى الواقع عاش المصرى الأول بين مظاهر طبيعية كثيرة منها ما كان يثير دهشته ويملؤه إعجاباً ،ومنها ما كان يرعبه ويقض مضجعه . هناك الحيوانات المقدسة التى سكنت أرجاء نيله وملأت الفيافى التى تحيط بمزارعه . هناك التمساح وفرس النهر والأسد وابن آوى والذئب والثعبان وغيرها . كما كانت أيضاً تلك الأشجار الضخمة العالية التى نبتت فى حقوله وهو لا يعرف من زرعها ومتى نبتت واطمأن إلى كثير من الحيوانات التى ساعدته على حرث الأرض مثل الحمار والثور والتى عاش يأكل من لحمها ولبنها مثل البقرة والنعجة والخنزير وغير ذلك . كل هذه الأشياء عاش بينها وكانت دائماً قريبة منه ، فعبدها حتى يضمن سرعة المساعدة ولأنه يخاف قسوة الانتقام .

وهكذا تكونت تلك الآلهة العديدة التى يصعب علينا حصرها ، تعددت بتعدد أسباب وجودها والمناطق التى عبدت فيها وتعلق الإنسان بهذه الآلهة الصغرى وتأثرت بها حياة الأسرة سواء فى القرية والإقليم . حتى أصبح لكل أسرة ولكل قبيلة ولكل إقليم آلهته المتعددة حتى حان العصر الذى تكونت فيه مصر سياسياً فاندمجت الأسرة فى الجماعة وتكونت المقاطعات ، ثم اندمجت هذه المقاطعات وتكونت مصر من قسمين هما الوجه القبلى والوجه البحرى . ثم اتحد الوجهان وأصبحت مصر دولة على رأسها ملك واحد .

هذه المراحل السياسية أثرت بطريق غير مباشر فى المعتقدات الدينية فى البلاد إذ جمعت هذا الخضم المتناقض من الآلهة فى صعيد واحد وأضفت عليه الشكل النهائى الذى ينحصر فى أقسام ثلاثة :ـ

أولا ــ الآلهة الكبرى وهى التى تمثل فيها المصرى قوى الطبيعة مثل الشمس والقمر والسماء والأرض والهواء والرياح والمحيط وغير ذلك .

ثانياً ــ الآلهة المحلية وهى التى تعبد فى القرى والمدن والأقاليم

ثالثاً ــ آلهة الدولة التى ظهرت بظهور الملكية المتحدة فى مصر . ولقد كانت فى الأصل آلهة محلية صغيرة ثم كبر شأن

الإقليم الذى عبدت فيه وتمكن حاكمه من أن يسيطر سياسياً على ما جاوره من أقاليم فكان يفرض إلهه على هذه الأقاليم . وإذا تم له النصر ووحد أقاليم مصر كلها وأصبح الملك ، استتبع ذلك أن يكون إلهه هو إله جميع المصريين .

ويجدر هنا بالباحث أن يتعرض لبعض النقط التى تعتبر من أهم الأسس لتفهم الديانة المصرية القديمة . لقد سبقت الإشارة إلى أن المصرى اختار بعض الحيوانات لتقديسها وفى كثير من الأحوال اختار بعض الحيوانات المفزعة مثل التمساح والثعبان ، كما اختار أحياناً بعض الحيوانات الأليفة مثل الكبش والثور والبقرة . وكثيراً ما أختار أنواعاً أخرى شغلت تفكير الرجل الساذج بحركاتها وأعمالها كأبن آوى الذى يتسلل ليلا ويقتحم المقابر لسرقة جثث الموتى .

لقد اعتقد عباد هذه الحيوانات أنها تحوى شيئاً إلهياً فى نفسها بمعنى أنه إذا أراد أحد الآلهة أن يجسد نفسه للبشر فإنه يختار حيواناً ترمز بعض صفاته إلى ما لهذا الإله من صفات . ولكن عرفوا أيضاً أن الإله لا يكون مجسداً فى كل بقرة أو فى كل تمساح ، ورغم الاحترام الجم الذى أحاط به المصرى تلك الحيوانات التى كان يعبدها فإنه لم يجد حرجاً فى أن يذبح البقرة أو يقتل التمساح . ولم ير فى ذلك عملا إجرامياً .



رسم تصويرى لموكب دينى يتوسطه الإله ( الثور ) « أبيس » وقد أحاط به الكهنة يطلقون البخور . يتقدم الجميع الملك والملكة . كما تقوم بعض الكاهنات بالرقص الدينى .

وهكذا كان المتعبد يحتفظ بنموذج واحد من ذلك الحيوان الذى يرمز إلى إله معين يقدم له فروض التقديس والعبادة بل كثيراً ما استبدلوا النموذج الحى من الحيوان بتمثال له . ولكن حدث بالنسبة إلى بعض الآلهة أن اضطر عبدتها إلى تمثيلها بجسم آدمى ورأس شكلت على هيئة رأس الحيوان ، وكان ذلك متوقع الحدوث . ألم يقولوا عن الإله أنه يحب ويكره ، ويحمى ويعاقب ، ويعطى ويأخذ ، فمن الواجب إذن أن يظهر الإله لهؤلاء على هيئة آدمى ، لأن هذه الصفات لا يمكن أن تكون لحيوان مثل التمساح أو الكبش أو الصقر . وأنه مما يثير دهشتنا حقاً أن المصرى استطاع على مر الأزمنة والدهور أن يحافظ على هذا المزج الغريب بين الإنسان والحيوان وأن الشعب المصرى تقبل هذا المزج ولم ير فيه أى تناقض .

ولقد مكن موقع البلاد الجغرافى المحصن أهل مصر أن يعيشوا عيشة هادئة . ومن أجل ذلك بقيت ديانتهم خلواً من الطقوس المخيفة . فلم يكن بينها مكان لآلهة ظمأى إلى الدماء ولا طقوس تسرف فى السرور أو الملذات . وكانت الطقوس الدينية تؤدى بشكل هادىء رزين

وعومل الإله معاملة الرجل القوى الذى يسعى الجميع إلى تأكيد مظاهر احترامه . فيقدمون له المأكل والمشرب والزهور

والملابس والحلى ويشيدون له مسكناً يحرصون على نظافته ويملأ جوانبه عبيق البخور . وكان الإله فى زعمهم يسر لكل هذا فيغرق الناس ببركاته ويغدق عليهم النعم .



كاهن مصرى من عصر الدولة الحديثة

وهكذا كانت الديانة المصرية سهلة فى أصولها بسيطة فى طقوسها ولكن الكهنة لم يرضوا بهذه السهولة أو بتلك البساطة وهم تلك الفئة من الناس الذين أخذوا على عاتقهم خدمة هذه الآلهة التى كانت فى الأصل حيوانات أو نباتات أو بعض مظاهر الطبيعة يتحتم لبقائها العناية بها ، ولقد تمتع هؤلاء الكهنة بمركز سام بين أوساط الشعب در عليهم الخيرات وجعلهم يعيشون عيشة رخاء حرصوا على الإبقاء عليها بشتى الطرق وأقربها إنهم نسجوا الأساطير المختلفة عن الهتهم وطبيعتها وقوتها وتأثيرها على بنى الإنسان وجعلوا من أنفسهم الوسطاء الوحيدين بين هذه الآلهة وبين الشعب .

ويظهر أن تكوين الأساطير العامة عن الآلهة سار جنباً إلى جنب مع التطور الدينى فى مصر ، إذ أنه فى تلك العصور حين كانت كل منطقة تعبد إلهها الخاص كان من الصعب الجمع بين صفات إلهين فى منطقتين مختلفتين بل كان اتباع كل إله أو قل كهنة كل إله لايتحدثون أو يشيدون إلا بذكر أعاجيب وأفعال إلههم وحده . ولكن عند ما اندمجت العبادات المحلية فى ديانة شعبية عامة اتحدت قصص الآلهة لتكون الأساطير العامة التى أصبحت — على الأقل فى أهم أجزائها — ملكاً مشاعاً للشعب وحده .

## أسطورة

## « رع » واسمه المجهول الذى يدل على قوته

اعتقد المصرى القديم بوجود علاقة خفية بين الإنسان واسمه واعتقد أيضاً أن اسم الشخص يكون الجزء الحى منه بل إن هذا الاسم هو العنصر الذى يقوّم شخصيته وقوته . ومن أجل ذلك اعتاد المصرى أن يطلق اسمين على الشخص . « الاسم الأكبر » و « الاسم الأصغر » . أو الاسم الكبير والاسم الجميل .

وكان الاسم الثانى هذا ، هو الذى يشاع بين الناس بينما اعتاد المصرى أن يخفى اسمه الكبير . ومن هنا اعتقد المصرى أنه لكى يؤثر فى رجل مات ما عليه إلا أن يمحو اسمه من مقبرته . وكان هذا العمل كافياً لقتل ذلك الإنسان قتلا أبدياً . فهو يسلبه بهذا العمل ذلك العنصر القوى الذى تقوم عليه حياته الأبدية .

ومن الغريب أن هذا الاعتقاد لم يسد بين المصريين فقط . فهناك شعوب بدائية اعتقدت أن الاسم هو بمثابة الروح ومنها من يعتقد أن الاسم هو الجزء الحى من جسم الإنسان وعليهم أن يخفوه للابقاء على حياته وإلا سوف يستعمله الساحر للقضاء عليه .

ومن الغريب أيضاً أن المصرى اعتقد أن الإله كأى شخص يجب عليه أن يخفى اسمه الكبير وإلا أصابه الفناء .

والأسطورة التالية تؤكد هذا الرأى فهى تحدثنا عن الإله الأكبر «رع» وعن أسمائه الكثيرة وأن اسماً واحداً من بينها أحاطه الإله بسياج من الكتمان لأنه يعتبره ينبوع القوة والسلطة والجاه .

أرادت الآلهة « ايزيس » ان تعرف هذا الاسم لتزيد من سلطتها وقوتها بين الآلهة . فدبرت المؤامرة ونجحت فيها .

وكتب النص الذى سوف نتخذه مصدراً لقصتنا على بردية محفوظة فى متحف تورين . ويؤرخها العلماء بعصر الأسرة التاسعة عشر . أى حوالى سنة ١٢٥٠ ق . م .

وها هو نص الأسطورة : —

« أسطورة الإله الأعظم الذى خلق نفسه من نفسه ، والذى خلق السماء والأرض ، والماء ، ونسيم الحياة ، والنار ، والآلهة ، والإنسان والحيوان ، والزواحف ، والطيور ، والأسماك . ملك الآلهة والبشر الذى لا تقاس حياته بالسنين والذى لا يعلم اسمه الحقيقى هذا الإله أو ذاك »

« والآن كانت « إيزيس » تلك المرأة الماهرة لها قلب يفوق فى شجاعته شجاعة مليون قلب من قلوب الرجال . وكانت مهارتها تفوق مهارة مليون إله . ولم يكن هناك شىء فى السماء أو

على الأرض لا تعرفه . فهى ك « رع » الذى صنع كل ما على الأرض . »

« ودبرت هذه الإلهة أمراً لتحققه لكى تعرف اسم الإله الأعظم . »

«وكان الإله « رع » قد اعتاد أن يدخل كل يوم إلى قاربه على رأس بحارته لكى يبدأ رحلته اليومية بين الشرق والغرب . »

«وكانت قد تقدمت به السنون ، وضعف تحكمه فى لعابه الذى كثيراً ما كان يسيل من شدقيه ويتساقط على الأرض . »

«فتناولت « إيزيس » بعضاً منه وعجنته بتراب الأرض وشكلت منه ثعباناً مقدساً ووضعته فى طريق « رع » اليومى الذى كان يسلكه حسب إرادته بين شطرى الوادى . »

«وفى يوم من الأيام خرج الإله المقدس من قصره تحف به الآلهة الأخرى لكى يبدأ رحلته اليومية . فدبت الحياة فى هذا الثعبان ولدغه . فصرخ الإله صراخاً مدوياً من شدة الألم وتجاوبت السموات صراخه وصاح أفراد التاسوع متسائلين :

« ما هذا . . . ما هذا . . . ؟ »

«ولكن « رع » لم يستطع لفرط ألمه وكثرة صياحه أن يجيب على تساؤلهم . وكانت شفتاه ترتعشان . وارتجفت أعضاء جسمه ، إذ تمكن السم من كل جزء منها . وعندما أخذ الإله يتمالك

نفسه صاح فى أتباعه : —

« أدركونى . . . أغيثونى . . .

« أنتم معشر الآلهة يا من خلقتكم وأخرجتكم من جسمى . . .

« اقتربوا منى لأحدثكم بما حدث لى . . .

« لقد وخزنى واخز لا يعرفه قلبى ولم تره عيناى . ولم تصنعه

« يداى ولا أستطيع التعرف عليه من بين مخلوقاتى . إن إيلامه

« شديد لم أشعر بألم مثله . وليس هناك أشد إيلاماً منه . . .

« إنى شريف ابن شريف . أتيت إلى الحياة إلهاً . . .

« إنى عظيم ابن عظيم . اختار أبى إسماً لى . . .

« لقد تعددت أسمائى واختلفت أشكالى

« وقد أودعت صورتى آلهة مختلفة . . .

« واختار أمى وأبى اسماً لى . . .

« وأخفى هذا الاسم فى جسدى قبل ولادتى حتى لا تستطيع

« قوة ساحر أو ساحرة أن تعرفه وتتغلب به على . . .

« دعوا أولاد الآلهة يحضرون إلى . . .

« أولئك الذين عرفوا بالحديث الطيب وعرفوا السحر .

« ووصلت حكمتهم عنان السماء . »

فأتى هؤلاء الأولاد . ولكن « إيزيس » حضرت معهم

بدهائها وفى حديثها نسيم الحياة كما لا يخلو كلامها من الألم . . .

فقالت : —

« ماذا حدث . . . ماذا حدث . . . يا أبى المقدس . .
ماذا . . ؟

« هل وخزك ثعبان فحل بك الهزال ؟

« أو تجاسر أحد أبنائك ورفع رأسه أمامك ؟

« فإنى مستعدة أن أحطمه بسحرى النفاذ وأجعله ينهزم

« عند أول نظرة من شعاعك . . . »

ففتح الإله المقدس فمه وقص على « إيزيس » قصة الثعبان ثم زاد على ذلك أنه يكاد ينوء بما تحمله من الألم ووصف نفسه قائلا : —

« إنى أشعر ببرودة أشد من برودة الماء .

« إنى اشعر بحرارة أشد من حرارة النار .

« ويغرق جسمى فى العرق بينما اهتز من شدة البرد .

« هناك غشاوة على عينى ولا أستطيع الرؤية . . . »

فقالت له « إيزيس » : —

« أخبرنى باسمك أيها الأب المقدس لأن الإنسان لا يستطيع

« أن يحيا دون أن يذكره فى تعويذة السحر . »

فقال « رع » : —

« أنا ذلك الذى خلق السماء والأرض . ونظم الجبال فى

« سلاسل ممتدة .

« وخلق ما يعيش فوقها . . .

« أنا الذى صنع الماء . . .

« وخلق الثور للبقرة . . .

« وجعل لذة الجماع وسيلة للنسل . . .

« أنا الذى خلق السموات ووضع أسرار الأفقين حتى

« تتسع لأرواح الآلهة التى تحيا فيها . . .

« أنا الذى فتح عينيه حتى يكون النور . . .

« وأنا الذى أغلق عينيه حتى يكون الظلام . . .

« أنا الذى جعلت النيل يجرى من الجنوب إلى الشمال . . .

« ولكن أنا الذى جهل الآلهة اسمه الحقيقى . . .

« أنا الذى حددت الساعات حتى تكون الأيام . . .

« أنا « خبرى » فى الصباح . . .

« و « رع » فى الزوال .

« و « آتوم » فى المساء .

« ولكن الألم لا يزال على أشده . »

فقالت « إيزيس » ل « رع » : —

« إن اسمك الحقيقى لم تذكره بين الأسماء التى قلتها . . .

« إذا أخبرتنى به خرج السم من جسدك . . .

« أعلم أن الإنسان لا يحيا إلا إذا نطق باسمه . . . »
ولكن آلام السم ما زالت تحرق جسده ، فكانت أقوى من لهيب النار .

فقال جلالة « رع » : —
« يا ابنتى « إيزيس » . . . قربى أذنيك منى حتى يخرج « اسمى من جسدى فيدخل جسدك . . . »
وهكذا تمكنت « إيزيس » من معرفة اسم « رع » ومن ثم قالت : —
« اخرج أيها السم . . .
« اخرج من جسد « رع » . . .
« اخرج من جسد « رع » المحترق لأنى أقول التعويذة . . .
« إنى أنا التى آمر . . .
« إنى أنا التى أبعث بالرسالة . . .
« اخرج على الأرض أيها السم القوى . . .
« ولتعلم أن الإله الكبير قد أسر فى أذنى باسمه الكبير ... »
فعاش « رع » ومات السم من قول « إيزيس » الكبيرة . سيدة الآلهة التى تعرف « رع » باسمه الحقيقى .

## أسطورة

## الصراع بين « حوريس » و « ست »

أن هذه الأسطورة تمثل القضاء واحكامه وتعطى فكرة عن كل الخطوات التى تستلزمها قضية ما وتبين اطوارها المختلفة فى ساحة القضاء .

وطرفا النزاع هنا هما « حوريس » و « ست » وقد رغب مجمع الآلهة فى أن يفصل بينهما لكى يضع حداً للنزاع الطويل المتشعب بينهما .

ولو ان موضوع هذه الاسطورة يتعلق بشخصيات اعتبرها المصرى القديم آلهة له إلا أن الاسلوب الشيق الذى دبجت به الاسطورة يجعل القارئ يحس أنها تعطى صورة حية لما كان يحدث بين الناس وخاصة لأن هذا الأسلوب قد صاغه مؤلف الاسطورة بالفاظ تستعمل فى الحياة اليومية ولا نجد نظيراً لها فى لغة الأدب أو لغة الدين .

وليس من شك فى أن هذه الاسطورة كانت تلقى على الناس فى مجتمعاتهم الليلية وقد تزاحموا فى ميدان فسيح وسط قريتهم ليستمعوا إلى هذه القصة كما نستمع نحن الآن إلى قصة

أبى زيد الهلالى أوما يشابهها .

ويرى بعض العلماء فى عناصر هذه القصة شبهاً يدفعهم إلى مقارنتها بما جاء فى شعر هومير والسبب فى هذه المقارنة هو أن قصتنا هذه تتحدث عن الآلهة كما لوكانوا أفراداً عاديين بأحاسيسهم البشرية ونزعاتهم المغرضة وتصرفاتهم البغيضة الى درجة أن بعض ما يسىء الناس كان يجلب إلى قلوبهم الفرح ويجعلهم يهتفون متصايحين إعجاباً بما حدث .

هذه الأسطورة وردت مكتوبة بالخط الهيراطيقى على بردية وجدت بين أنقاض طيبة القديمة واشتراها ثرى سميت باسمه وأصبحت تعرف الآن باسم ( بردية شستر بيتى ) .

وتقول هذه الأسطورة : —

« وتقدم « حوريس » الطفل المقدس إلى سيد العالم « آتوم » « يطالب بعرش أبيه « أوزيريس » . »

فعقد العزم على تقديم الاثنين « حوريس » و « ست »[١] للمحاكمة وقال « شو » بن « رع » لآتوم الأمير القوى فى هليوبوليس : —

« الحق مع سيدى . فليعطى حوريس هذه الوظيفة . »

ثم قال « تحوت » موجهاً حديثه إلى التاسوع :—

( ١ ) أخ أوزيريس والد حوريس .

« هذا هو الحق مليون مرة . »

وهنا تصاعد صوت « ايزيس » فرحة وكانت السعادة تطفو على وجهها ووقفت أمام سيد الجميع وقالت : —

« يا ريح الشمال اذهبي إلى الغرب واحملي معلك هذا النبأ
« السعيد لتبليغه لأوزيريس . له الحياة والسعادة والصحة . »

وهنا تحدث سيد الجميع وقال : —

« ما هذا الذى تقولونه . وماذا جدا بكم أن تتخذوا هذا
« القرار دون موافقتى . »

وقال أحد الآلهة : —

« إن اسم حوريس للعرش قد وقع الاختيار عليه وثبت
« التاج الأبيض على جبينه . »

فسكت سيد الجميع وطال سكوته لأنه غضب على التاسوع



« نوت » إلهة السماء

وتقدم « ست » بن « نوت » إلهة السماء وقال :—

« دعوه يخرج معى وسوف أدلل لكم على ضعفه وسوف أريكم وأجعل من التاسوع شاهداً عليه ، كيف أستطيع التغلب عليه . إذ أنى الوحيد الذى يعلم تماماً كيف يتخلص منه . »

وتقدم « تحوت » وقال :—

« ما هذا . ألسنا بصدد التعرف على المجرم . وهل معنى هذا أن وظيفة « أوزيريس » تعطى ل « ست » بينما يقف ابنه هنا فى ساحة القضاء . »

وزاد غضب « رع حور أختى » واشتد هياجه لأنه فى قرارة نفسه كان يرغب فى إسناد هذه الوظيفة ل « ست » صاحب القوة العظيمة ابن « نوت » .

وهنا صاح « أونوريس » أحد الآلهة وتساءل متعجباً ماذا نحن صانعون الآن ؟

واختلط الحابل بالنابل فى ساحة القضاء واقترح البعض أن يسأل فى ذلك بعض الآلهة لكى تعطى رأيها فيمن يستحق الوظيفة من بين الاثنين .

ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل وظهر الاقتراح بسؤال الإلهة « نايت » فهى جديرة باتخاذ القرار الناجز .

وأمر أعضاء التاسوع أن يكتب « تحوت » خطاباً وهو يقف فى حضرة سيد الجمع وقالوا له : —

« اكتب خطاباً إلى « نايت» العظيمة أم الإله .

اكتبه باسم سيد الجميع . النور الذى يسكن هليوبوليس »

فأومأ « تحوت » برأسه وقال :—

«حسناً سأفعل ما تأمرون به

نعم سأفعل ! سأفعل ! . »

وجلس على الأرض وكتب الخطاب كما يأتى :—

« ملك مصر العليا والسفلى« رع آتوم » محبوب «تحوت» سيد الأرضين ، الساكن فى هليوبوليس . يقول ما يأتى :—

« ماذا نحن فاعلون بأمر هذين الرجلين اللذين وقفا فى ساحة القضاء مدة ثمانين عاماً ولم يستطع أحد أن يفصل فى أمرهما . نرجو الكتابة إلينا بما نحن فاعلون . »

وأرسلت « نايت » الإلهة العظيمة أم الإله خطاباً إلى التاسوع تقول :—

« اعطوا وظيفة « أوزيريس» لابنه « حوريس» وإياكم أن ترتكبوا هذا السخف الذى ليس فى موضعه وإلا غضبت وسقطت السماء على الأرض . وقولوا لسيد الجميع ، النور الساكن فى هليوبوليس . أزد من ممتلكات « ست » بإعطائه

ابنتيك « عنات » و « اشترت » . وضع « حوريس » فى « مكان أبيه «أوزيريس » . »

ووصل هذا الخطاب إلى التاسوع عند ما كان يجلس أعضاؤه فى الصالة الكبرى وتسلم « تحوت » الخطاب وبدأ قراءته أمام سيد الجميع وأعضاء التاسوع الذين هتفوا فى صوت واحد : —

« إن الإلهة على حق . »

فازداد حنق سيد الجميع على « حوريس » وقال له : —

« إن جسمك لضعيف وهذه الوظيفة كبيرة عليك . ماذا أنت صانع بها . أنت أيها الطفل الذى لا زالت رائحة فمه كريهة »

فغضب أعضاء التاسوع لهذا الحديث ووقف الإله « بابا » وقال لسيد الجميع : —

« ماذا تقول أنت يا من هجره عباده . »

واستاء سيد الجميع من تطاول هذا الإله عليه وامتلأ قلبه حزناً وخرج أعضاء التاسوع وهم يصرخون فى وجه « بابا » قائلين له : —

« اخرج من هنا فجرمك كبير ولا مثيل له »

وانصرفوا إلى مخيمهم .

أما سيد الجميع فقد أمضى يوماً بطوله مستلقياً على ظهره يخيم عليه الحزن وقد امتلأ قلبه بالغضب ولم يرض أن يقترب منه أحد .

وبعد أن مرت السنون والأعوام أتت « حاتحور » سيدة شجرة الجميزة لتزور أباها «سيد الجميع » ووقفت أمامه مظهرة له ما خفى من أعضاء جسمها وهنا انفجر الإله العظيم ضاحكاً وصحا من رقدته وجلس مع التاسوع وقال لحوريس وست :—

« قصوا علىّ قصتكم »

واختلفت الأصوات وتزايد الصراخ وخاصة عند ما تدخلت « إيزيس» أم « حوريس » لتدافع عن ابنها .

واشتد حنق « ست » وأقسم فى ثورة غضبه أنه سيقتل واحداً من الآلهة كل يوم . ورفض رفضاً باتاً أن يشترك فى هذه القضية ما دامت « إيزيس » حاضرة .

وأصرت الآلهة عندئذ أن تنسحب إلى مكان بعيد اختارته فى (الجزيرة المتوسطة) . وأمرت صاحب القارب ألا ينقل إلى الجزيرة أية امرأة تشبه « إيزيس » .

إلا أن « إيزيس » اخفت معالمها وتشبهت بشكل آخر ورشت صاحب القارب وطلبت إليه أن ينقلها إلى الجزيرة المتوسطة .

وأغرت « إيزيس » — وقد ظهرت كفتاة جذابة — « ست » واستدرجته بعيداً عن مجلس التاسوع تارة تقص عليه قصصاً لطيفة وتارة تداعبه مداعبة مغرية . ثم حدثته عن نفسها قائلة :

« إن زوجها كان راعياً للماشية فأتى رجل وقتله وسرق
« ماشيته وترك ابنها الوحيد دون عائل فغضب « ست » وقال :
« الويل للغاصب ! . »

وترامى صراخه إلى التاسوع بينما انقلبت « إيزيس » إلى طائر ارتفع إلى السماء وهو يقول : —

« لقد حكمت على نفسك بنفسك !
« لقد حكمت على نفسك بنفسك ! »

وصرخ أعضاء التاسوع قائلين : —

« ما هذا يا « ست » لقد أتعبتنا بقضيتك .
« وأنت تقر الآن بالحق .
« فلتعطى وظيفة « أوزيريس » إلى ابنه « حوريس » .

إلا أن « ست» لم ينهزم . وطلب إلى سيد الجميع أن يدخل فى معركة جسدية مع « حوريس » على أن تعطى الوظيفة للغالب .

وهلل التاسوع لهذه الفكرة وسرعان ما انقلب الخصمان إلى فرسى نهر وصمما على أن يبقيا تحت الماء مدة ثلاثة أشهر كاملة

على أن تعطى الوظيفة للغالب .

ولكن « إيزيس » أفسدت المراهنة بتدخلها إذ أنها أسقطت فى الماء ( خطافاً ) لكى تشل حركة « ست » .

فاستعطف هذا الأخير أخته [1] « إيزيس » وطلب إليها بحنان أن تبعد عنه هذا الخطاف وسرعان ما رق قلبها .

فغضب « حوريس » على أمه وأطاح برأسها .

فانزعج أعضاء التاسوع لهذه الفعلة الشنيعة وسمحوا ل « ست » أن يعاقب « حوريس » باقتلاع عينيه ودفنهما فى الأرض حتى يضيئوها بهما .

وهنا أسرعت « حاتحور » ووضعت فى مقلتيه لبن غزال وبذلك ارتد الضوء إليهما .

وطلب « رع » إلى الخصمين أن يوقفا عراكهما .

فصرخ « ست » مقسما : —

« سوف لا تعطى وظيفة « أوزيريس » إلى « حوريس » إلا بعد أن يتم تغلب أحدنا على الآخر . واقترح أن يقوم سباق بينهما فى سفينتين من الحجر على أن يتسلم الغالب وظيفة « أوزيريس » . »

---

( ١ ) كانت كلمة أخت عند المصريين القدماء تطلق أيضاً على الزوجة إلا أن « إيزيس » فى هذا الموضع هى حقيقة أخت « ست » .

فأعد « حوريس » لنفسه قارباً من الخشب طلاه من الخارج بطلاء من الجص ليبدو للناظر أنه صنع من الحجر .

أما « ست فقد بنى لنفسه قارباً من الحجر الأصم . وما كاد يضعه فوق الماء حتى غرق فى اليم .

وأقلع « حوريس » بسفينته نحو الشمال متجهاً إلى مقر الإلهة « نايت » . وعند ما وصل إليها أبلغها كل ما حدث كما عرض على مسامعها الأغلاط التى ارتكبها .

أما « ست » فقد اتخذ لنفسه شكل فرس النهر وأراد مهاجمة قارب « حوريس » الذى سارع باستعمال ( خطافاً ) ليلقيه على « ست » . إلا أن أعضاء التاسوع صرخوا قائلين :

« لا ترم « ست » بهذا الخطاف » .

وفى نهاية الأمر اقترح الإله « تحوت » أن يكتب الآلهة خطاباً إلى الإله «اوزيريس » ليدلى برأيه فى هذه المشكلة .

ولا غرابة إذا انحاز « أوزيريس » إلى جانب ابنه « حوريس » وأرسل الخطاب الآتى إلى التاسوع : —

« لا أدرى سبباً لسياسة الخداع التى تتخذونها نحو ابنى حوريس وأنتم تعلمون انكم تستمدون قوتكم منى كما تعرفون أننى صانع الشعير والقمح الذى يحفظ عليكم حياتكم كما

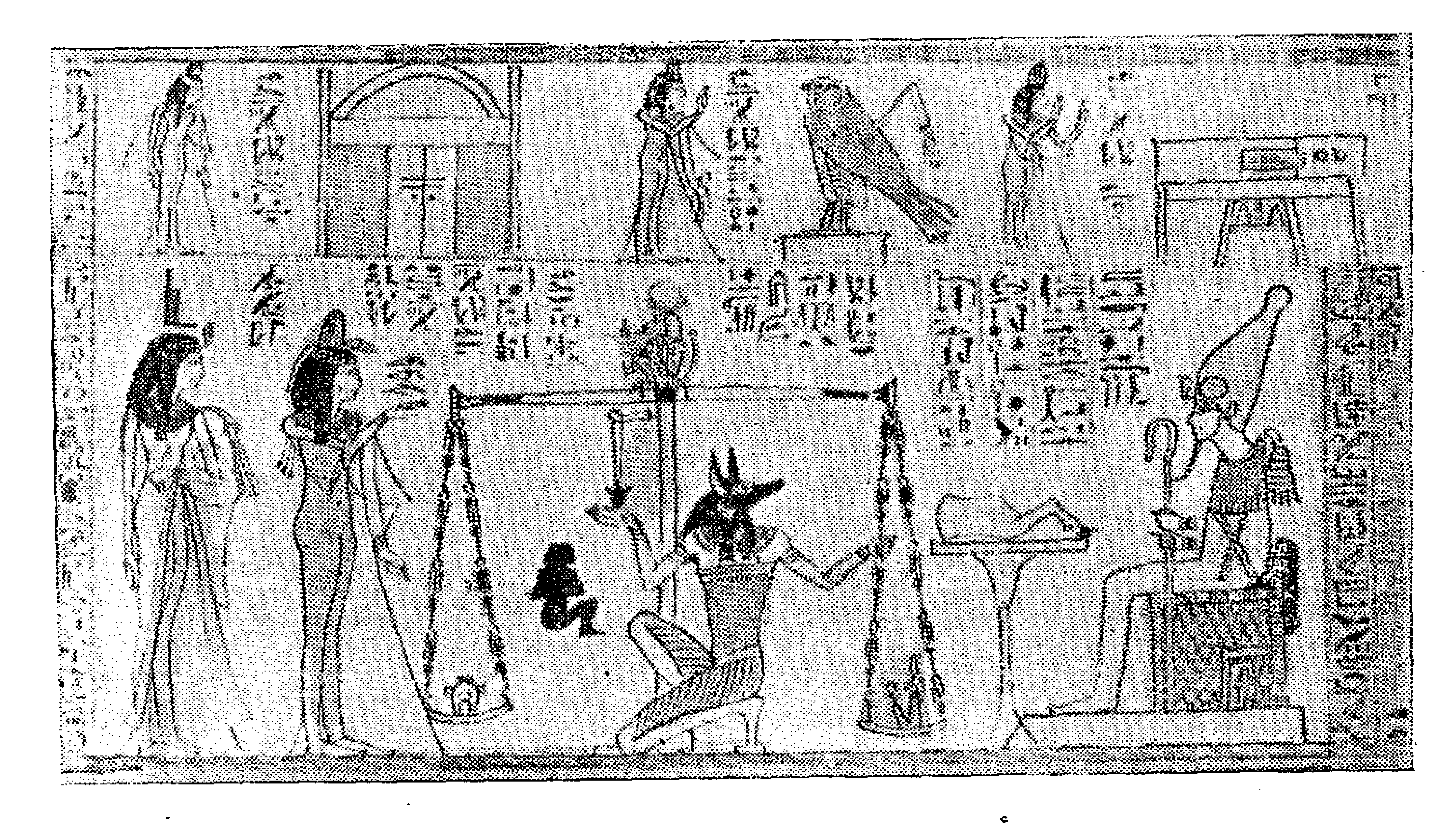
أمدكم بقطعان الماشية التى تتغذون بها وتدرون تماماً أنه لا إله هناك استطاع أن يعمل لكم ما أعمله . »

ولكن هذا الخطاب لم يرض « سيد الجميع » وغضب منه وسارع إلى الرد عليه بما يأتى : —

« فلنفرض أنك لم تخلق . ولنفرض أنك لم تولد . إلا أنى « أؤكد لك أن الشعير والقمح كانا سيوجدان وتتغذى بهما الآلهة »

وعند ما وصل هذا الخطاب إلى « أوزيريس » وبعد أن قرئ عليه سارع بالرد مهدداً الآلهة أن يرسل إليهم بعض المردة من أتباعه واتهم « رع » بأنه يجمع حوله فئة من الآلهة لا هم لهم إلا الإعلاء من شأنه والتزلف إليه بينما يهملون شئون الناس ومصالحهم . ثم أردف ذلك بقوله : —

« هذا جميل ما تصنعونه الآن . وأنت يا صانع التاسوع
أين العدالة ؟
إذا بحثت عنها فإنك ستجدها قد غرقت وذهبت معالمها .
أحكم بالعدل .
أما عن الأرض التى أعيش فيها فهى ملأى برسل ذوى
وجوه متوحشة . وهم لا يخشون أى إله أو آلهة .
إن فى استطاعتى أن أرسلهم إليكم ليقضوا على أى



« أوزيريس » يحاكم الموتى فى دولته فى العالم السفلى .

منكم فيجلبوه إلىّ هنا ليعيش معى (إشارة إلى موته) إذ لا معنى مطلقاً أن أعيش هنا فى الغرب بينما تمرحون أنتم فى عالمكم وإنى أتساءل من منكم يفوقنى قوة ؟ . »

« وويم الحق إنكم لاتجيدون غير نشر الخداع بين الناس واعلموا أن « بتاج » العظيم عند ما خلق النجوم فى السماء قال لها : —

« ستذهبين كل ليلة وستحيين فى الغرب حيث يحكم « أوزيريس » وسوف يذهب إلى الغرب أيضاً كل إله وكل إنسان ليحيا هناك مع « أوزيريس » . »

هذا ما قاله فى رده على سيد الأرضين .

وعندما وصل هذا الخطاب إلى « تحوت » وقرأه على أفراد التاسوع وافقوا على ما جاء به بالإجماع . إلا أن « ست » أراد أن يخرج بمحاولة جديدة .

ولكن «آتوم» أمر «إيزيس» أن تحضر «ست» مكبلا بالقيود.

ونفذت « إيزيس » ذلك بنفس راضية .

ووجه « آتوم » الحديث الآتى إلى « ست » : —

« لماذا لا تريد أن تأخذ العدالة مجراها ؟

ولماذا تعارض فى إعطاء « حوريس » وظيفة أبيه ؟ »

وهنا أجاب « ست » : —

« سيدى ومولاى . دع « حوريس » بن « إيزيس » يأتى ليتسلم « وظيفة أبيه »

وبالفعل حضر « حوريس » بن « إيزيس » ولبس التاج الأبيض ووضع فى مكان أبيه « أوزيريس » .

ثم خوطب بما يأتى : —

« أهلا بالملك الطيب المولى على مصر .

فليكن من نصيبك الحياة والسعادة والصحة . »

أما سيد الجميع فقال : —

« دعوا « ست » بن « نوت » يأتى إلى ليحيا معى .

سأجعل منه ابناً لى .

سوف يدوى صوته فى السماء .

سوف يهابه كل الناس . »

أما « رع » فقد قال عند ما بلغه الخبر : —

« فلتسعدوا به .

خروا إلى الأرض خروا إلى الأرض أمام « حوريس » بن « إيزيس » . »

وهكذا انتهت هذه القضية بالسعادة ترفرف على « حوريس » فى طيبة موطن الحق .



« حوريس » و « ست » وهما يتوجان فرعون مصر . ويرمز بهما إلى
الإلهين المتعاركين بعد أن حسم النزاع بينهما .

## أسطورة

## القمر وخسوفه

إن من أهم الشخصيات التى تعلق بها المصريون فى معتقداتهم شخصية « أوزيريس » . وكما نعلم جميعاً حاك حوله الكهنة أساطير مختلفة لا نهاية لها .

وكان هذا الإله فى العصور الأولى بمثابة الملك الذى غدر به وقتل لكى يخلو العرش لقاتله ، ثم اصبح بعد أن نجحت زوجته فى إعادة الحياة إلى جسمه ملكاً على الدنيا الثانية ، يحكم فيها كما حكم فى الدنيا الأولى .

وتصور المصرى الدنيا الثانية صورة طبق الأصل للدنيا الأولى . ففيها نيل يجرى ويفيض على شاطئيه فيغمر الأراضى الزراعية ويعمل ساكنوها نفس الأعمال التى قاموا بها أثناء حياتهم الأولى .

وهكذ كان « أوزيريس » ملك الدنيا الثانية يقوم بنفس المهمة التى اضطلع بها الإله « رع » بين الأحياء . ف « رع » ينير الدنيا الأولى ويعطى الحياة لساكنيها ، ويهب القوة والصحة لكل من يدب عليها ، بينما « أوزيريس » يقوم بنفس المهمة فى

الدنيا الثانية ، دنيا الظلام .

وفى الأسطورة التالية نرى بوضوح أحد الموضوعات التى كانت تملأ فراغاً كبيراً فى تفكير المصرى وهى خلق العالم وكيف تم .

وهذه الأسطورة تتحدث عن أصل « أوزيريس » وأسرته كما يلى : —

« أنا « آتوم » عند ما كنت وحيداً فى « نون » .

« أنا « رع » فى بدء ظهوره عند ما أخذ يحكم بين أولئك

« الذين خلقهم .

« أنا الإله الأعظم الذى خلق نفسه من نفسه .

« من أنا ؟

« أنا الإله الأعظم الذى خلق نفسه من نفسه فى الماء .

« أنا « نون » أبو الآلهة .

« من أنا ؟

« أنا « آتوم » فى قرص الشمس .

« أنا ذلك الإله بين الآلهة الذى لا يخالف له أمر .

« أنا الأمس ولكنى أعرف ما يأتى به الغد .

« من أنا ؟

« أنا الأمس ، أنا « أوزيريس » .

« أنا الغد ، أنا « رع » فى ذلك اليوم الذى فيه فتك .

« من أنا ؟

« أنا الأمس، أنا « أوزيريس » .

« أنا الغد ، أنا « رع » فى ذلك اليوم الذى فيه فتك

« بأعداء سيد الجميع . وفيه ولى « حوريس »(١) الحكم . »

* * *

وهكذا كان « آتوم » هو أول الآلهة الذى خلق الناس وملأ الأرض بمن عليها . ولكنه بدأ بأن خلق من نفسه « شو » إله الهواء و « تفنوت » إلهة الرطوبة ( Moisture ) فتزوجا وأنجبا « كب » إله الأرض و « نوت » إلهة السماء .

وتزاوج هذان الأخيران وأنجبا أربعة آلهة هم :

إوزيريس وأيزيس وست ونفتيس .

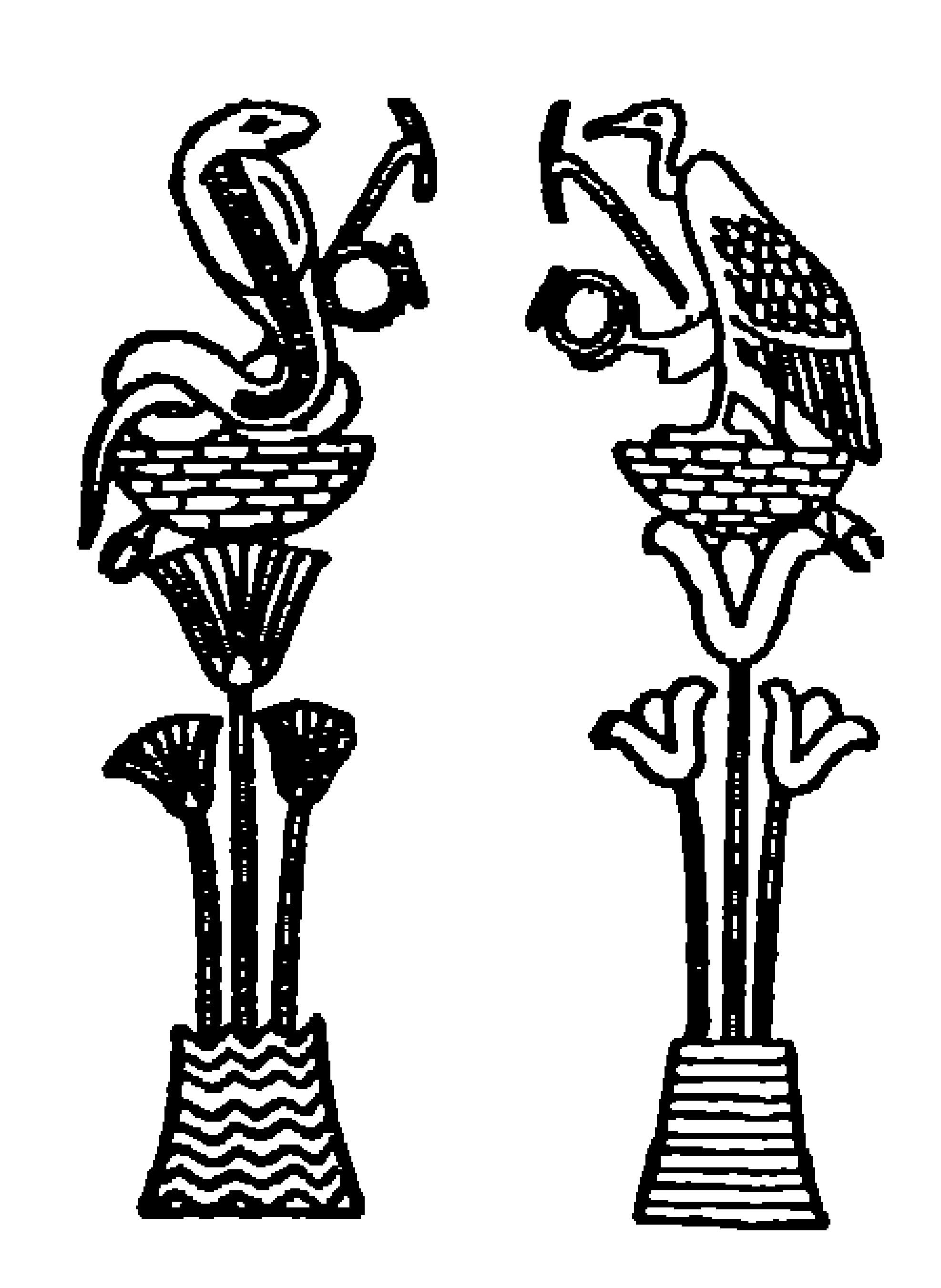
وتمكن « أوزيريس » من أن يرث عرش مصر بجزأيها . وكان المصرى طوال تاريخه الطويل يفرق بين مصر العليا ومصر السفلى ويسميهما تسمية ثنائية هى الأرضين .

وكان لكل منهما مميزات التصقت بهما طوال العصور .

---

( ١ ) « حوريس » هو ابن «أوزيريس» من « ايزيس » الذى قام بالثأر لأبيه من عمه « ست » .

فهناك التاج الأبيض رمز الوجه القبلى، والتاج الأحمر رمز الوجه البحرى وكذلك إلهة الشمال التى تحميه وهى« واد چيت » وإلهة الجنوب التى تحميه وهى « نخبيت ». وغير ذلك من رموز كثيرة أثرت على نواحى متعددة من الديانة المصرية وتمخضت عن صور مختلفة من الأساطير المصرية .



اليمنى « نخبيت » رمز الوجه القبلى واليسرى « وادجيت » رمز الوجه البحرى .

ومن أهم هذه الصور ما حدث بين الشمال والجنوب فى عصر ما قبل التاريخ ثم بين الجنوب والشمال فى أوائل العصر التاريخى من خلافات ونضال وعراك، كان المصرى يرمز لابطاله

بأوزيريس وتارة أخرى بحوريس وست . واشتركت معهم إيزيس .

ومن أشهر الأساطير التى يمكن أن نذكرها فى هذه المناسبة الاسطورة الآتية والتى تمثل حلقة من حلقات العراك بين الشمال والجنوب وبين « حوريس » و« ست » .

وتلك الأسطورة مؤرخة من عصر أواخر الدولة القديمة أى حوالى عام ٢٤٠٠ ق . م ولو أنها ظهرت فى عصر الدولة الوسطى ( ٢٠٠٠ ق. م ) مدونة فوق توابيت الموتى. ثم استمرت مستعملة بين النصوص التى تكوّن فى مجموعها ما نسميه (كتاب الموتى — ١٥٠٠ ق . م ) وبقيت منتشرة حتى أواخر العصور الفرعونية .

وهذه الأسطورة هى كما يلى : —

حدث ذات يوم أن أراد « حوريس » أن يرى « رع » ليقرأ له ما سوف يأتى بعد الغد . وبينما كان الاثنان يجلسان مر عليهما خنزير أسود .

فجزع « حوريس » من شكله وقال لـ « رع » : —

« هل رأيت هذا الخنزير الأسود ؟ »

فقال « رع » : —

« نعم رأيته . فهل لك أن تنظر إليه مرة ثانية . »

وما كاد « حوريس » يلتفت إليه حتى صرخ صرخة مدوية

لأن هذا الخنزير كان قد رماه بسهم نارى أصابه فى عينه .

فجزع « رع » وقال :—

« قد عرفته . إنه « ست » الشرير . »

أما « حوريس » فأخذ يولول :—

« إنه فعلا « ست » الذى أصاب عينى .

« لا تدع « ست» يهرب دون معاقبته . »

وطار عقل « حوريس » من فرط الألم .

ولكن « ست » الذى كان متخفياً فى شكل الخنزير اختفى ولم يظهر له أثر ، وزاد تألم « رع » لما حدث لحوريس » وقال :—

« دعوا « حوريس » يستلقى فى سريره حتى يستريح مما أصابه .

« إنه اللعين « ست» الذى أصاب عين « حوريس » بسهم من النار .

« إنه محرم على الآلهة وعلى حوريس» .

وعند ما أفاق « حوريس» من إغمائه واسترد صحته ونظره وهبه « رع » مدينة بى (Pe) ففرح بهذا العطاء فرحاً كبيراً وانقشعت السحب واحتفلت البلاد بهذا كثيراً .

* * *

هذه الأسطورة تعطينا تفسيراً واضحاً لعادتين من عادات المصريين القدماء التى ورثناها عنهم ولا زلنا نحافظ عليهما حتى الآن .

الأولى هى عادة تحريم لحم الخنزير على المصريين — ومن الغريب أن المصرى القديم فى عصوره البدائية الأولى استأنس الخنزير واستعمله فى شتى الأغراض . والدليل على ذلك أن عظام هذا الحيوان يعثر عليها بكثرة بين مخلفات الإنسان الأولى الذى عاش فى مصر قبل التاريخ .

أما المصرى فى العصور التاريخية فقد استعمل الخنزير فى أغراض شتى ، أهمها أنه كان يطلق قطيعاً منه فوق سيقان الحبوب لكى يدرسها ولكن المصرى وجد أن هذا الحيوان مضر إذا استعمل كغذاء وأن لحمه غير نظيف . وهذا هو السبب الذى اعتبر من أجله أكل لحم الخنزير محرماً عند المصريين القدماء .

أما العادة الثانية فهى ما يصنعه المصريون الحاليون عند ما يحدث كسوفاً للقمر فهم عادة يهللون ويقرعون الطبول والصفائح المعدنية الفارغة محدثين بذلك دوياً مفزعاً منشدين أثناء ذلك ما يأتى : —

« يا أولاد الحور سيبوا القمر ينور »

وفى كثير من القرى يصوب الرجال بنادقهم نحو القمر ويطلقونها ، ولاشك أنهم يفعلون هذا لتخويف ذلك العدو الذى يحاول الاعتداء على القمر .

وإذا ربطنا بين هذه العادة وبين ما كان المصريون القدماء يعتقدون فإننا لا شك نجد أن الاتصال موجود وأن المصرى الحديث لا يعبر فى حركاته الحالية إلا عن معتقدات قديمة ورثها — دون أن يدرى — عن اجداده الأولين .

اعتقد المصرى القديم أن الإله « حوريس » له عينان إحداهما القمر والأخرى الشمس . وكما نعلم حاول « ست » أن يضعف من حجة « حوريس » فى قدرته على تحمل أعباء الحكم كوريث لوالده « أوزيريس » بأن يقتلع إحدى عينيه . ولكنه لم يقدم على فعلته هذه بصراحة لأنه كان يخشى « حوريس » خشية الباطل للحق .

وفى أسطورتنا هذه أظلمت الدنيا باختفاء القمر وهو العين اليسرى لحوريس كنتيجة لاعتداء « ست » عليها .

وتمكن « رع » من أن يرجعها إلى « حوريس » فاختفى الخسوف .

و « تفنوت »[١] و « كب »[٢] و « نوت »[٣] وكذلك كل الآلهة من الآباء والأمهات الذين كانوا معى عند ما كنت أسكن « نون »[٤] » .

« وكذلك أدعوا « نون » نفسه وليأتى مع أفراد حاشيته .

ادعوهم جميعاً فى السر حتى لا يراهم البشر .

واحضروهم إلى القصر الكبير . »

وحضر هؤلاء الآلهة جميعهم واجتمعوا سراً حتى لا يعرف البشر بأمر اجتماعهم . وعند ما دخل عليهم الإله خروا ساجدين بين يديه واضعين أيديهم على الأرض[٥] .

ثم هتفوا قائلين : —

« تحدث إلينا ، حتى نعرف ما خطبك . »

فقال « رع » موجهاً كلامه إلى « نون » : —

« أى « نون » يا أكبر الآلهة سناً يا من وجدت فيه .

« يا أقدم الآلهة . أدعوك لتدلى برأيك .

---

( ١ ) إلهة الرطوبة ( moisture )

( ٢ ) إله الأرض .

( ٣ ) إلهة السماء .

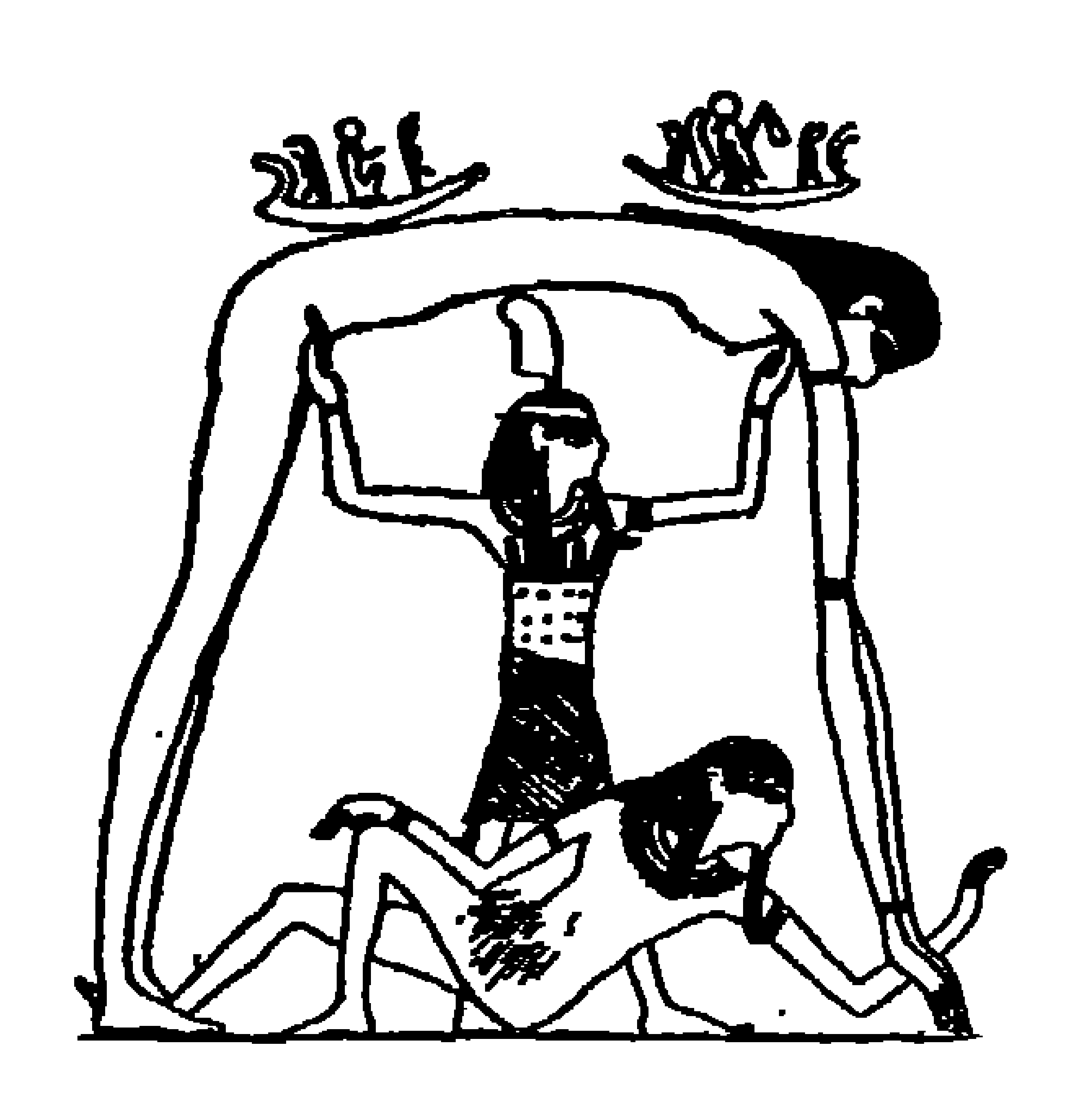
( ٤ ) المياه الأزلية التى ظهر فيها هذا الإله بمفرده ثم قام بعملية الخلق

( ٥ ) علامة الاحترام .

« إن البشر الذين خلقتهم قد تآمروا ضدى .

« إن البشر الذين خلقتهم من عينى يتهامسون ضدى .

« إنهم يقولون فى قلوبهم متهكمين :



« نوت » كإلهة للسماء تنحنى فوق « كب » إله الأرض وتقف « شو » إله الهواء رافعاً إياها بذراعيه

« انظروا ! إن الملك أصبح كهلا ، تحولت عظامه إلى

« فضة ولحمه الى ذهب وشعره إلى لازورد .

« هل لك أن ترشدنى إلى ما أنا صانع بهم .

« من أجل ذلك دعوتك لاستشارتك .

« اعلم أننى لم أقدم على إفنائهم حتى أسمع منك ما تنصحنى به . »

وتكلم « نون » قائلا : —

« أنت أيها الإله العظيم .

« أنت يا من تفوق خالقك فى عظمتك .

« أنت الابن الذى فاقت قوته قوة أبيه .

« أرسل عينك لتفتك بالمتآمرين عليك . »

« عندئذ سوف يختفوا من فوق الأرض . »

فأرسل « رع » عينه لتفتك بالبشر حسب نصيحة « نون » ولكنهم عند ما شعروا بها تفرقوا فى الصحارى واختفوا بين الصخور .

فقال « رع » : —

« أنظروا كيف هرب البشر إلى الصحارى واختفوا بين الصخور . إن قلوبهم ترتجف هلعاً من عينى . »

عندئذ تقدمت جموع الآلهة إلى الإله « رع » بنصيحة أخرى وهى أن يرسل عينه بين الناس على الأرض لتفتك بهم عن كثب .

وقالوا له : —

« دع عينك تنزل إلى الأرض لتقبض على أولئك الذين

يتآمرون بالشر ضدك .

« إن عينك لا تكفى قوتها أن تقوم بمهمتها هذه .

« فلترسلها فى شكلها كابنتك « حاتحور » .

فنزلت هذه الإلهة إلى الأرض وفتكت بالبشر المنتشرين فى الصحراء ورجعت إلى أبيها.

فقال لها الإله : —

« مرحباً بك يا « حاتحور » يا من قمتى بما أدعو إليه من « أعمال . »

فقالت الإلهة « حاتحور » : —

« يا من تحيا من أجلى [1] .

« لقد كنت جبارة قوية بين البشر .

« مهمتك هذه أقوم بها بقلب مفعم بالسرور والهناء . »

فرد عليها الإله قائلا : —

« إن فتكك بهم سوف يوطد سلطانى عليهم .

« ولكن كفى ما قمتى به .

« لا تقتلى منهم بعد ذلك فرداً . »

أما الإلهة فإنها لم تستمع إلى ما قاله لها أبوها . واستمرت

---

(١) كانت هذه الكلمات تقال فى مستهل القسم عند المصريين القدماء .

طوال الليل تفتك بالبشر وأخذت تسبح فى دمائهم وخشى « رع » فى صبيحة اليوم الثانى أن تأتى « حاتحور » على ما تبقى منهم .

فصاح فيمن حوله : —

« ادعوا لى على عجل رسلا يسابقون الريح .

« تفوق سرعتهم سرعة الظل ( ؟ ) . »

فحضر الرسل على الفور.وأمرهم جلالة الإله : —

« اذهبوا إلى ( إلفنتين ) واحضروا لى كل ما تستطيعون حمله

« من أل « ددى » [1] .

وعند ما أحضر الرسل ال « ددى » إلى الإله أمر بصحنه كما أمر بعض الخادمات بإعداد كميات كبيرة من الجعة وخلطها بأل « ددى » . فأصبحت فى لونها تشبه دماء البشر . ثم ملأ بها سبعة آلاف جرة .

وفى الصباح أمر « رع » أتباعه أن يحملوا هذه الجرار بما فيها من جعة حمراء وسكبها فى المكان الذى اعتزمت « حاتحور » أن تفتك فيه بمن تبقى من البشر .

---

( ١ ) هذه مادة حمراء استعملها المصرى فى الحصول على اللون الأحمر ولا نستطيع الجزم عما إذا كانت مادة نباتية أم حجرية . إلا أنه من المعروف أن الفنتين ( أسوان ) تحوى منجماً لما نسميه المغرة (Ocre) ولعلها هى ما أراد الإله إحضاره من هناك .

وقال الإله متمتماً : —

« ما أجمل ما فعلت .

« سأحمى ما بقى من البشر من فتكها . »

وبدت الحقول كبركة كبيرة تعلوها طبقة من الجعة إلى ارتفاع ثلاثة أكف [١] .

ولقد تم ذلك كله بأمر من جلالة هذا الإله .

وفى الصباح المبكر أتت الإلهة « حاتحور » إلى هذا المكان الذى غمره ذلك الفيضان وتمتعت برؤية وجهها الصبوح مرتسما على سطحه . فضحكت وعم السرور نفسها .

ثم شربت ولذ لها الشراب حتى ثملت . فرجعت تترنح ولم تقو على إتمام ما اعتزمته من الإتيان على ما تبقى من البشر .

وأقيمت الاحتفالات وسر الإله . ورضيت نفسه بنتيجة هذا العمل .

* * *

رأى المصرى فى هذه الأسطورة أشياء أخرى غير ما قدمت إذ ربط بين الفيضان الذى نتج عن سكب هذه الأوانى السبع

---

( ١ ) استعمل المصرى القديم عرض الكف كوحدة فى المقاييس وهو ما يعادل $\frac{1}{2}$ ٧ سنتمترات تقريباً .

من الآلاف وبين الفيضان الحقيقي الذى يغمر البلاد مرة كل عام .

ومما يؤكد لنا هذا الربط أن المصرى القديم كان يحتفل بعيد « حاتحور » الذى يمتاز بكثرة الشراب والإقبال على تعاطى الجعة فى شهر توت وهو أول شهور فصل الفيضان .

وفى هذه الحالة يمكننا أن نقارن بين غضب « رع » على البشر وبين القحط والجفاف الذى يسبق شهور الفيضان فى مصر

ووصلت إلينا بعض نماذج من هذه القصة لم تكن نهايتها كما ذكرنا بل أتبعوها بفصل آخر يتحدث عن هذه الآلهة وثورة غضبها عند ما ذهب عنها تأثير الخمر .

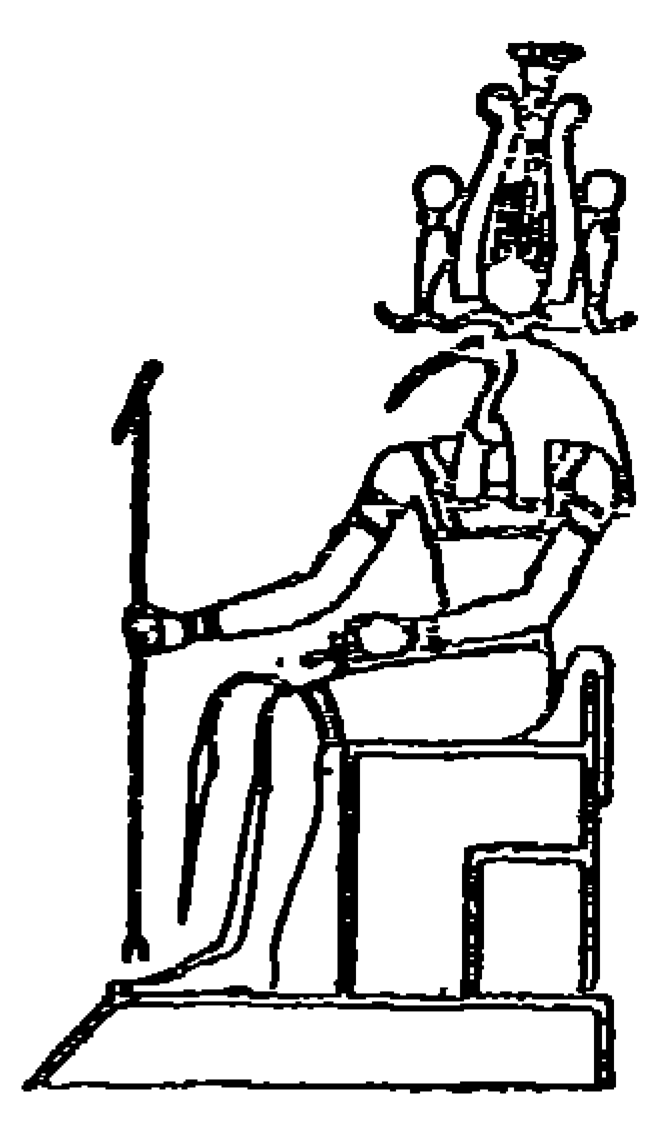
فنددت بأبيها الذى منعها من إكمال مهمتها والقضاء على البشر جميعهم . واعتزمت الهجرة من مصر واتخذت لنفسها شكل أنثي ( زوجة ) الأسد . واختارت السودان مكاناً لسكناها .

فحزن « رع » لفراقها وأرسل وراءها الرسل بعد الرسل يتوسلون إليها حتى يقنعوها بالرجوع إلى بلدها . ولكن جهودهم كانت دائماً تبوء بالفشل .

وفى آخر الأمر التجأ الإله إلى الأخذ بنصيحة مجمع الآلهة . فأدلوا له برأيهم ونصحوه أن يرسل حكيم الآلهة « تحوت » . فهو الوحيد الذي تؤهله صفات الحكمة والدراية بخلق الآلهة أن يقنعها بالعودة إلى مصر .

فاتخذ «تحوت» لنفسه شكل القرد وذهب إليها ووجدها تتجول فى صحراء السودان . وعند ما رأته زمجرت . فعرف أنها لا تزال غاضبة . والتجأ إلى حيلة . عله يجلب السرور إلى قلبها .

فقام بقفزات مختلفة وحركات لطيفة جعلت الإلهة تهدأ بل تبدأ فى الضحك .



المعبود « تحوت » إله الحكمة

وعندئذ انهمك «تحوت» فى أساليبه المضحكة حتى لاحظ أن حالة الإلهة أصبحت تسمح له بمفاتحتها بأمر المهمة التى أتى من أجلها .

وفى آخر الأمر نجح ورجعت معه الإلهة وسعدت مصر بقدومها كما فرح أبوها بلقائها بعد غياب طويل .

## أسطورة

## الأميرة والإله « خنسو »

هناك نوع من الأساطير المصرية كانت تهدف الى غرض معين يتفق إلى حد بعيد مع ما نسميه الآن ( البروباجندا ) . ولقد عرفنا أسطورة بردية وستكار التى كانت تهدف إلى ذر الرماد فى العيون بالنسبة إلى عدم شرعية أفراد الأسرة التى قوضت حكم الأسرة الرابعة واعتلت هى العرش . وكذلك أسطورة حاتشبسوت وولادتها التى أرادت منها الملكة أن تدافع بها عن استقلالها بالعرش .

أما الأسطورة التى حاكها الكهنة عن امنحوتب الثالث فقد أكدت أن الغرض منها هو ان يغض الشعب النظر عن المعارضة التى ربما يلاقيها امنحوتب كملك شرعى نظراً لأن أمه لم تكن مصرية .

والأسطورة الآتية هى من نفس النوع اخترعها كهنة الإله « خنسو » ونقشت على جدران معبده ، وهى تهدف إلى الإشادة بقوة إلههم وقدرته على الإتيان بالأعاجيب .

ولقد حاكها الكهنة بأسلوب تاريخى ، إذ جعلوا مسرح

الأسطورة مدينة طيبة العظيمة . وحددوا العصر عهد الملك رمسيس الثاني الذى طار صيته فى أنحاء العالم المتمدين فى ذلك الوقت نظراً إلى الفتوحات الكثيرة التى تمت على يديه ولأنه استن سنة حميدة وهى التزوج من أميرات أجنبيات من الأسر المالكة فى أقطار الشرق الأدنى القديم . وهو هنا يتزوج بابنة ملك الحيثيين بعد أن حاربه أعواماً طويلة . وكانت الحرب بينهما سجالا . وانتهت بعقد محالفة دفاعية هجومية تعتبر من أهم المعاهدات التاريخية فى العصور القديمة .

وتبدأ الأسطورة بمقدمة طويلة تزخر بألقاب رنانة تشيد بمفاخر كل ملك منهما وبقوته وعظمته وقدرته على الحرب والفتوحات .

ثم يأتى الحديث عن الأسطورة نفسها كما يلى : —

وهكذا وصل جلالة الملك رمسيس ( الثانى ) حسب عادته فى كل عام إلى بلاد نهارينا ( بلاد ما بين النهرين ) فسارع إليه أمراء البلاد الأجنبية يقدمون له فروض الطاعة وينحنون أمام عظمته فى اطمئنان .

وحملوا معهم هداياهم من الذهب والفضة واللازورد والتوركواز وأنواع الأخشاب الفاخرة التى تنبت فى بلاد الإله[١] .

( ١ ) أطلق المصرى لفظ « بلد الإله » على جميع المناطق التى تقع فى آسيا إلى الشرق من مصر .

وأمر أمير « بختن » باحضار هداياه التى كان على رأسها ابنته الكبرى وتقدم إلى جلالته راجياً أن يقبل هذه الهدية وأن يتفضل ويغدق عليه نعمة الحياة .

وأعجب جلالة الملك بهذه الفتاة وسر قلبه بها أكثر من كل شيء وأمر بأن يكون اسمها المصرى : زوجة الملك الكبرى « نفرو — رع » .

وعند ما رجع جلالته إلى مصر قامت هذه الفتاة بكل واجبات الزوجة الشرعية للملك .

* * *

وحدث فى العام الثالث والعشرين فى اليوم الثانى والعشرين من الشهر الثانى من الفصل الثالث ، أن كان جلالته فى مدينة طيبة القاهرة سيدة مدن مصر ، يقوم بأداء الاحتفالات لأبيه الكبير « أمون رع » سيد العروش والمهيمن على القطرين وذلك لحلول عيد « أوبت الجميل الجنوبى » .

فدخل عليه من يقول لجلالته : —

« لقد وصل رسول من أمير « بختن » وهو يحمل هدايا لا حصر لها لزوجة الملك . » .

فأمر جلالته بدخول الرسول ومعه هداياه وأمره بالتحدث فقال : —

« المجد لك . يا « رع » . يا صاحب الأقواس التسعة .
نحن نحيا من فضلك . »

ثم تقدم الرسول وقبل الأرض أمام جلالته وتابع حديثه فقال : —

« لقد حضرت . أى مولاى ، من أجل « بنت — رشت » الأخت الصغرى لزوجة جلالتكم « نفرو — رع » .
« لقد أنهك المرض جسمها .
« فهل لجلالتكم أن تتفضلوا بإرسال أحد حكمائكم
« ليفحصها ؟ »

وهنا تكلم الملك قائلا : —
« احضروا لى على عجل رجال ( بيت الحياة )[1] .
وكذلك هيئة علماء العاصمة . »
فحضروا على الفور . فقال لهم جلالته : —
« لقد ناديتكم لتستمعوا إلى هذا الأمر .
« والآن فليتقدم أحدكم ممن عمر قلبه بالحكمة .
« وقدرت أنامله على الكتابة . »

---

(١) ( بيت الحياة ) هنا معناه المدرسة التى كان يتعلم فيها المصرى الحكمة والديانة والسحر والطب .

فتقدم الصفوف الكاتب الملكى « نون — إم — حب »
وحيي جلالته . فأمره بمصاحبة رسول أمير « بختن » والسفر معه
بلا إبطاء .

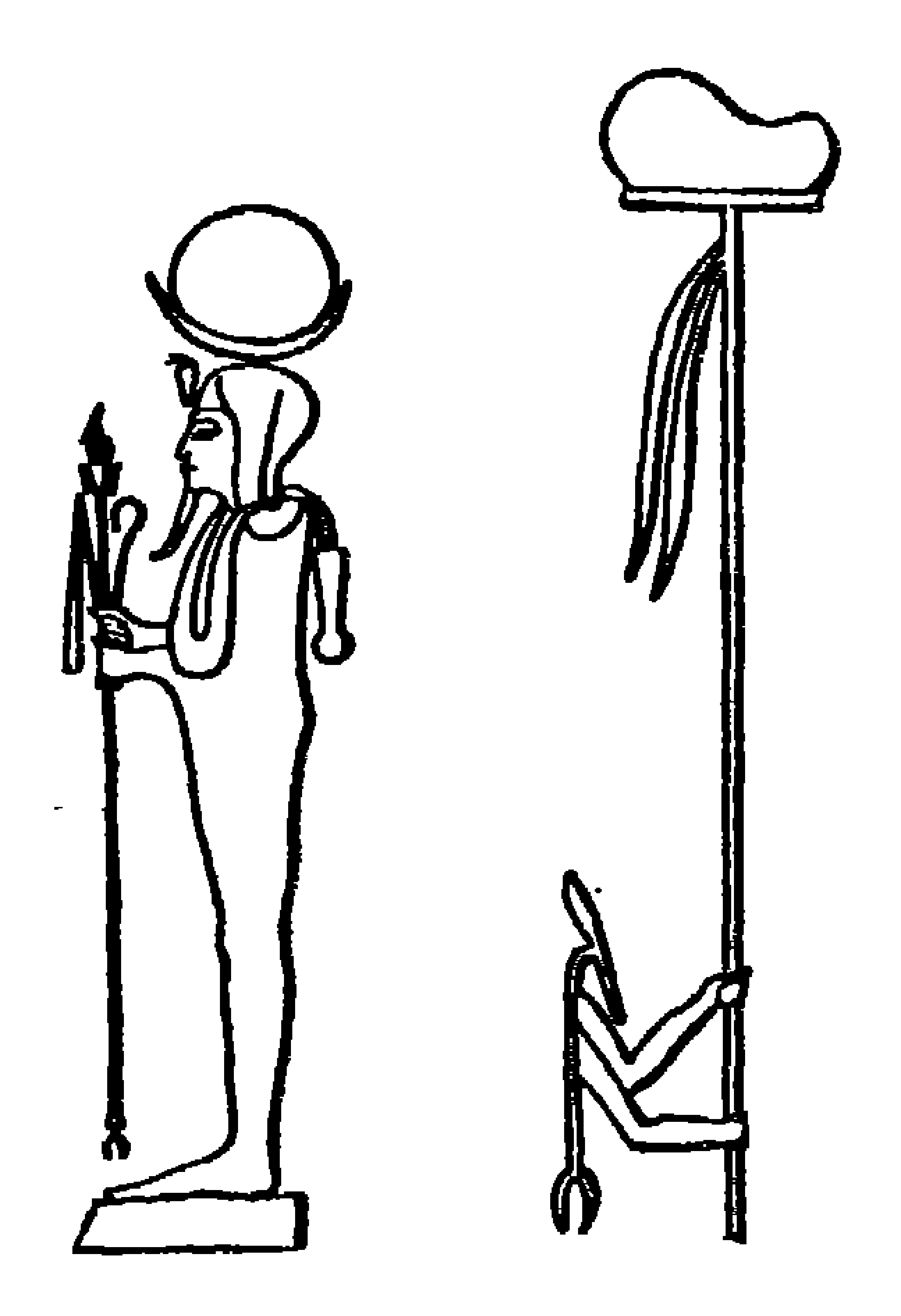
* * *

وعند ما وصل الحكيم المصرى إلى بلاد « بختن » وجد الأميرة
« بنت — رشت » فى حالة من مسته أرواح شريرة .
حقاً لقد وجد عدواً صعب المراس .
وأرسل أمير بختن مرة أخرى إلى جلالة الملك يقول : —
« أيها الملك . يا مولاى . أرجو جلالتكم أن تأمروا بإله
يستطيع التغلب على هذا الروح الشرير . »
ووصل رسول الأمير الى الملك فى العام السادس والعشرين .
الشهر الأول من الفصل الثالث . فى موعد الاحتفال بآمون وكان
الملك فى طيبة .
وأعاد الملك كلمات الرسول وكان جلالته فى حضرة الإله
« خنسو » الذى فى طيبة . الجميل . الخير » قائلا : —
« مولاى الطيب . إنى أخدمك اليوم لأطلب المساعدة من
أجل ابنة أمير « بختن » . »
وهنا حُمل الإله « خنسو . الذى فى طيبة . الجميل . الخير »
الى الإله « خنسو . منفذ المشاريع . الإله الأعظم . الذى

يطرد الأرواح الشريرة » .

وقال الملك إلى الإله « خنسو . الذى فى طيبة . الجميل . الخير » : —

« مولاى . إذا اتجهت بوجهك نحو الإله « خنسو . منفذ المشاريع الإله العظيم . الذى يطرد الأرواح الشريرة » . فسوف يرضى بالتوجه إلى بلاد بختن . »



الإله « خنسو » و رمزه المقدس

فاومأ الإله برأسه مراراً .

ثم قال جلالته : —

« ولتزوده بقوتك السحرية حتى يستطيع إنقاذ ابنة أمير « بختن »

وهنا أومأ الإله « خنسو . الذى فى طيبه . الجميل . الخير » مراراً عديدة برأسه وزود الإله « خنسو . منفذ المشاريع » بقوته السحرية مرة بعد مرة حتى بلغت أربع مرات .

* * *

وأمر جلالة الملك أن ينقل « خنسو . منفذ المشاريع » إلى سفينة كبيرة تحرسها خمسة قوارب نيلية .

وجهزت السفينة بعربات وخيول كثيرة من الغرب والشرق .

ووصل هذا الإله إلى بلاد « بختن » بعد رحلة بلغت عاماً وخمسة شهور ..

وقابله أمير « بختن » بجيوشه وضباطه . وعند ما وقف أمام الإله « خنسو . منفذ المشاريع » خر على الأرض حتى لمسها ببطنه وقال : —

« لقد حضرت إلينا — فلتكن رحيما بنا . بحق ملك مصر العليا ، ومصر السفلى ( أوسر — معات — رع — ستب — إن

رع )[١] . »

وتقدم الإله الى المكان الذى ترقد فيه « بنت — رشت » ونفذت حمايته السحرية إلى ابنة أمير بختن لتشفيها من علتها حالا.

وهنا ارتفع صوت الروح الذى مسها وقال فى حضرة الإله « خنسو . منفذ المشاريع » : —

« مرحباً بك أيها الإله العظيم الذى يطرد الأرواح الجالبة للأمراض . »

« إن بختن أصبحت وطنك . وأهلها عبيداً لك . أنا كذلك عبد لك . »

« وسوف أرحل إلى المكان الذى أتيت منه حتى تطيب بالا وتسعد من أجل المهمة التى قدمت لها . »

« هل لك أن تأمر امير بختن بأن يخصص يوم عطلة أحتفل به معك ؟ »

وهنا أومأ الإله لكاهنه برأسه قائلا : —

« دع أمير بختن يقدم قرباناً عظيما فى حضرة هذا الروح. »

وفى الوقت الذى تمت فيه هذه الأشياء بين الإله « خنسو . منفذ المشاريع » والروح ، كان أمير بختن يقف منتظراً ومن

---

( ١ ) اسم العرش للملك رمسيس الثانى .

حوله جنوده وقد أخذ منه الهلع مأخذه .

وقام أمير بختن بتقديم القرابين فى حضرة هذا الإله وهذا الروح واحتفل بيوم إجازة من أجلهما .

ورحل الروح بسلام إلى حيث أراد رضوخاً لأمر الإله « خنسو . منفذ المشاريع » . وفرح أمير بختن وأهل البلاد جميعاً بهذا العمل فرحاً شديداً .

وأسر أمير بختن فى نفسه أمراً : —

« سأدعو هذا الإله ليبقى بيننا هنا فى بختن . ولن أدعه يرجع إلى مصر . »

* * *

واستقر المقام لهذا الإله فى « بختن » مدة ثلاثة أعوام وتسعة أشهر .

وحدث ذات مساء أن رأى أمير بختن فى نومه هذا الإله وقد خرج من ناووسه كصقر ذهبى وحلق فى السماء واتجه نحو مصر .

فصحا من نومه فزعاً وأسرع إلى كاهن الإله « خنسو . منفذ المشاريع » يقص عليه رؤيته وطلب إليه أن يسرع مع الإله بالعودة إلى مصر .

وزود الإله بكثير من الهدايا القيمة . وبأعداد لا تحصى

من الجند والخيول ورجع إلى مصر .

وما كاد الإله « خنسو . منفذ المشاريع » يصل إلى طيبة حتى اتجه مباشرة إلى « خنسو . الذى فى طيبة . الجميل . الخير . » وكدس أمامه كل العطايا والهدايا التى زوده بها أمير بختن .

ونزل « خنسو . منفذ المشاريع » بسلام وسعادة إلى معبده فى السنة الثالثة والثلاثين فى اليوم التاسع عشر من الشهر الثانى من الفصل الثانى من حكم ملك الشمال والجنوب « أو سر — معات — رع — ستب — إن — رع » معطى الحياة مثل «رع» إلى الأبد .

## أسطورة

## « حوريس » والعقرب

إن قصة « إيزيس » كانت من أحب القصص الإلهى إلى المصريين . ولا غرابة فى ذلك فهى قصة امرأة معذبة فجعت فى زوجها ثم ذاقت الأمرين أثناء البحث عن جثة هذا الزوج المقتول كما وقفت وحيدة تدافع وتناضل من أجل وحيدها حوريس الذى بثت فيه نزعة الثأر لأبيه .

والقصة الآتية هى واحدة من تلك القصص التى تداولتها ألسنة المصريين وتظهر فيها « إيزيس » ككل أم حنون لا تألو جهداً فى تنشئة وحيدها لكى ينفذ ما بثته أمه فى قلبه الصغير من عاطفة الثأر لأبيه المقتول ولكى يتولى شئون الحكم كوريث وحيد لأبيه « أوزيريس » ملك الشمال والجنوب .

ولم تكن هذه القصة تعتبر فقط كأسطورة يتحدث بها الأب إلى ابنه أو الأم إلى بنتها ولكنها كانت فى نفس الوقت واحدة من القصص التى كانت تستعمل لأغراض سحرية . إذ اعتقد المصرى اعتقاداً راسخاً بأن بعض الأساطير التى تتحدث عن بعض شئون الآلهة وخاصة تلك الشئون التى تتعلق بمصائب حلت

ببعضهم ، اعتقد أن هذه الأساطير تصبح ذات أثر فعال إذا استعملت كتميمة سحرية ، إذ أن الأساليب التى تخلص بها هذا الإله أو ذاك من محنته هى بعينها التى تخلص من يستعملها من البشر من محنة مماثلة .

واعتاد بعض المصريين أن يقيموا أمام منازلهم لوحة حجرية نقشوا فوقها صوراً تمثل الإله « حوريس » وهو يطأ بقدميه تمساحين ويقبض بيديه على بعض العقارب والثعابين وغيرها . والمقصود بهذه اللوحة أن تمنع هذه المخلوقات الضارة من أن تدخل المنزل وتفتك بسكانه .

وهناك نموذج جميل من هذه اللوحات وجد بين مخلفات الكونت ( ماترنيخ) ويعرف بين العلماء باسم لوحة ماترنيخ .

وفيما يلى ترجمة للنصوص السحرية المنقوشة فوقها . وهى كما قلت تتحدث عن أسطورة من تلك الأساطير التى كانت شائعة بين الشعب المصرى . وهذه الأسطورة تتحدث عما حدث للإله « حوريس » من أحد العقارب . وتستعمل أيضاً تعويذة تقى من لدغ العقرب .

* * *

حدث ذات يوم بعد أن فتك « ست » بأخيه الطيب الخير « أوزيريس » أن سجن « ست » زوجة أخيه وأخته « إيزيس »

خوفاً من مكائدها ودرءاً لما تتمتع به من تأثير كبير على الناس .

ولكن الإله الحكيم « تحوت » تبدى ذات ليلة للإلهة « إيزيس » وفك قيودها وأخرجها من سجنها آمراً إياها أن تهرب نحو الشمال وتخفى نفسها بين مستنقعات الدلتا ، وتنتظر هناك حتى تضع ابنها من « إوزيريس » .

وزود « تحوت » إيزيس بسبع عقارب لكى تحميها وتدافع عنها أثناء رحلتها إلى الشمال . وكانت أوامر « تحوت » إلى هذه العقارب السبع أن :

« اتجهى نحو الشمال ، ولتكن حواسك يقظة للطريق . »

وأطاعت العقارب السبع الأوامر فسارت واحدة أمام الآلهة لنفسح لها الطريق وسارت اثنتان منها على كل من جانبى الآلهة وبقيت اثنتان فى المؤخرة .

وبعد أن سار هذا الموكب أياماً طويلة مضنية وصلت « إيزيس » وأتباعها إلى أرض المستنقعات فى شمال الدلتا وكان الليل قد أقبل عند ما وصلت الإلهة حدود قرية صغيرة .

ولما كان التعب والإجهاد قد نالا منها ، وكان الجوع قد أخذ منها مأخذه فقد اتجهت نحو منزل رئيس القرية ورجته فى أن يستضيفها أثناء الليل .

ولكن زوجة الرئيس وكانت متعاظمة ذات كبرياء رفضت

أن تسمح لهذه المرأة الغريبة — التي كان مظهرها لا ينم على أنها الإلهة الملكة « إيزيس » — بقضاء الليل فى ضيافتها .

إلا أنه حدث أن مرت فى ذلك الوقت امرأة فقيرة تهش على طيورها ، فأخذتها الشفقة على هذه الطارقة الغريبة ودعتها لتمضية الليل فى كوخها الحقير .

وشعرت العقارب السبع التى صاحبت « ايزيس » فى رحلتها الطويلة بالمذلة والاهانة التى لحقت سيدتها « ايزيس » من زوجة رئيس القرية وأضمرت الثأر من هذه المرأة .

ونفذت مؤامرتها بأن أفرغت ست منها سمها فى ذيل السابعة التى زحفت بهدوء من تحت باب المنزل ووصلت إلى ابن رئيس القرية وكان يغط فى نومه ولدغته . وسرى السم المضاعف سبع مرات فى جسم الطفل الذى استيقظ مذعوراً من نومه وصاح صياحاً سبّبه هذا السم المضاعف سبع مرات ، فانزعجت أم الطفل وانحنت عليه تضمه إلى صدرها الحنون ، ولكن الطفل كان بين الحياة والموت . ولم يستطع أحد أن يشفيه من هذه اللدغة المميتة .

ولم تستطع الأم المسكينة فى محنتها إلا أن تخرج إلى الشارع وهى تصرخ وتولول وهى أشبه ما تكون بسمكة تشوى فى النار

وسمعت « إيزيس » هذه الضوضاء وأدركت ما ينم عليه

صوت الأم من الجزع . فسارعت إليها واستفسرتها خطبها .

ولكنها رأت ويا هول ما رأت فقد ارتطم أحد سكان المنزل أثناء الهرج والمرج الذى حدث بمصباح فى المنزل ، فاندلعت النيران منه واشتعلت فى المنزل وبذلك تضاعفت المصائب التى حلت بمنزل رئيس القرية الذى فقد ابنه وأكلت النيران منزله .

وهنا رق قلب الإلهة على الأم الثكلى ونست الإهانة التى الحقتها بها منذ هنيهة ونادتها قائلة : —

« تعالى إلىّ ، تعالى إلىّ .

« إنى امرأة ذاع صيتها فى مدينتها .

« إنى اكتسبت من أبى مهارة استمددتها من فمه .

« إن فى له قدرة سحرية لا مثيل لها . »

فسارعت المرأة إلى « إيزيس » ووضعت أمامها ابنها . ولما كانت الإلهة قد تنبأت بما حدث فإنها تمتمت بتعويذتها السحرية منادية سم كل من العقارب السبع آمرة إياه أن يستل سمه من جسم الطفل .

ما أقوى سحرها وما أشد نفوذه ! إذ لم تكد تنتهى من تمتمتها حتى سال السم خارجاً من جسم الطفل ودبت الحياة فيه .

فتلقفته أمه معافى شاكرة متلهفة . ومن غريب الأمر أنه فى اللحظة التى استعاد الطفل فيها صحته انطفأت النيران بقوة

سحرية من منزل رئيس القرية .

أما ما كان من « إيزيس » فإنها اعتزمت الاختفاء من القرية بكل سرعة خوفاً من بطش « ست » وأسرعت خطاها متوغلة فى أحشاء المستنقعات لتختفى عن أعين المتطفلين من الناس .

وفى هذا المكان الموحش استقبل الحياة « حوريس » بعد أن ذاقت أمه الأمرين فى وحدتها المضنية وقالت « إيزيس » بعد أن ولدت طفلها : —

« ولدت « حوريس » بن « أوزيريس » بين مستنقعات البردى وفرحت بولادته كثيراً لأنى جلبت الحياة إلى من سيجيب صوت أبيه ويثأر من قتلته . ولقد أخفيته وحجبته عن أعين الرقباء » .

* * *

وهكذا عاشت الأم مع وحيدها بين هذه المستنقعات الموحشة ولا هم لها إلا تنشئته ورعايته ، فلا تتركه إلا لوهلة قصيرة لتحصل على ما يقيم حياتها من مأكل أو مشرب .

ولكن « ست » الشرير علم بالأمر وبما إليه أمر هذا الطفل. فأرسل إليه عقرباً لتلدغه فى فترة غياب أمه عنه ، وعند ما رجعت وجدت وحيدها يكاد يفارق الحياة وهو مستلق على

الأرض التى رواها الماء الذى سال من عينيه والزبد الذى خرج من فمه .

كان جسمه لا حراك به وكانت نبضات قلبه قد تضاءلت وخفتت وتقلصت عضلات أعضاء جسمه .

وعندما رأت « إيزيس » حال طفلها صرخت صرخة مدوية سمعها الناس فى القرية المجاورة. فهرعوا إلى مصدر الصوت وصاحت امرأة من بينهم قائلة : —

« لا بد وأن « حوريس » قد لدغته عقرب »

أما « إيزيس » فقد قربت أنفها من فم الطفل لتستطلع دبيب أنفاسه ثم فحصت جرحه ووجدت السم عالق به .

ورغم أن « إيزيس » قد تمكنت من أن تشفى ابن رئيس القرية من محنة مماثلة إلا أنها لم تستطع إبراء وحيدها . ولعل ذلك لأن العقرب فى هذه الحالة قد بعث به إله ولم يكن عقرباً عادياً .

وأخذت « ايزيس » فى محنتها هذه تصرخ مولولة : —

« أى « رع » إن ابنك « حوريس » قد لدغ .

إن « حوريس » قد لدغ .

وهو الوريث والمولى على عرش « شو » .

إن الطفل الجميل ذا الأعضاء الذهبية قد لدغ .

إن « حوريس » بن « أوزيريس » قد لدغ .

إن « حوريس » الطفل البرىء والأصغير بين الآلهة قد لدغ .

« إن « حوريس » الذى أعددته لكى يثأر لأبيه قد لدغ .

« إن « حوريس » الذى خشيت أن يصيبه مكروه وهى فى رحمى قد لدغ .

إن « حوريس » الذى رعيته قد لدغ .

إن « حوريس » الطفل الذى رجوت حياته مجروح .

إن الطفل قد مات . »

* * *

وسمعت « نفتيس » أخت « إيزيس » بالحادث فحضرت باكية وكذلك الإلهة « سلكت » سيدة العقارب . ونصحتها « إيزيس » بالدعاء للسماء حتى تقف سفينة « رع » بمن فيها .

فأرسلت « إيزيس » صراخ قلبها إلى موكب الشمس فانزعج « رع » وأمر بنفسه إيقاف المركب الذهبى وألا تسير فى رحلتها اليومية .

وأرسل الإله « تحوت » ليستطلع أمر ما حدث لإيزيس . فنزل هذا الإله إلى الأرض وأخبر « إيزيس » أنه أتى ليشفى ابنها قائلا : —

« ولكى أشفى كل شخص أصيب بمثل ما أصيب به « حوريس » . »

ولكن « إيزيس » قابلته بعويلها نادبة ابنها الصغير ، إلا أن « تحوت » أكد لها أن كل شيء سيسير على ما يرام .

وبدأ « تحوت » يرتل تعويذته السحرية معدداً أوصاف « حوريس » مقارناً إياها بأوصاف كائنات إلهية متعددة : —

« حوريس تحيطه العناية .

« حوريس مثله كمثل ذلك الذى فى قرص الشمس الذى

« يضيء الأرضين بنور عينيه .

« أى حوريس . استيقظ .

« أى حوريس . إن حصانتك اصبحت مؤكدة .

« استيقظ . وادخل الفرح إلى قلب أمك « ايزيس » .

« أن كلمات « حوريس » سوف تربط بين القلوب .

« إن « حوريس » سوف ينشر السلام على أولئك الذين

« يرغبون فى السلام .

« انا « تحوت » بن « رع » البكر .

« إن « آتوم » وأصحابه أصدروا أمرهم لى بأن أشفى

« حوريس » لتقر عين أمه .

« ولأشفى كل من كان مصاباً بنفس العلة .

« سيحيا « حوريس » من أجل أمه .

« وسيحيا كذلك كل من كان مصاباً بنفس العلة »

## أسطورة

## أبناء « رع » الذين تولوا عرش مصر

لهذه الأسطورة أهمية خاصة فهى تقوم على أساس تاريخى وتروى الحركات السياسية التى قامت فى أواخر الأسرة الرابعة لإنهاء حكم ملوكها واستيلاء أفراد لا يمتون إلى الأسرة المالكة بصلة على العرش .

ونحن نعلم من التاريخ أن ملوك الأسرات الأربعة الأولى تميزوا بحكمهم الاستبدادى وبكل ما يتبع الإستبداد من جبروت وطغيان . فقد كانوا آلهة حقيقيين يحيون فوق الأرض . حكموا البلاد بسرهم الإلهى ولم يكن لأى فرد — لا يمت بصلة إلى أسراتهم المالكية — أن يتمتع بأية حقوق فى مصر . ولا يمكن أيضاً أن يتمتع أى فرد بوظيفة من وظائف الدولة إلا إذا كان أميراً من أمراء الأسرة المالكة .

ويمتاز عصر هذه الأسرات الأربع فى نفس الوقت بنهضة كبيرة شاملة ، جند للقيام بها والمضى فيها جماعات كبيرة من الشعب .

واتسم هذا العصر بطابع التقدم السريع فى جميع مناحى

الحياة من سياسية واقتصادية وعلمية وفنية .

ولكن النفع كان يؤول فى النهاية إلى الملك . فهو الذى كانت تنتهى إليه كل مظاهر هذه الحضارة ، كما أن الجميع كانوا يعملون ويكدون للاعلاء من شأنه دون أن يجنوا شيئاً — ولو ضئيلا — من ثمار غرسهم .

وكان لا بد لهذا النظام أن يصل إلى نهايته الحتمية ؛ نعم كان لا بد له أن ينهار .

وقد عجل بإنهاء هـــذا النظام فى أواخر الأسرة الرابعة استيقاظ الوعى القومى عند الفرد المصرى .

لقد تبلور هذا الوعى عند أولئك الفنانين المهرة ذوى المدارك المرهفة وعند رجال الحكم الذين تمكنوا من أن يتقنوا — إلى حد بعيد مهنهم المختلفة . فبرزوا فيها وتوارثوها أباً عن جد ثم — فى آخر الأمر — قام كهنة « رع » — المغلوبين على أمرهم — بحركة ثورية للتخلص من استبداد هؤلاء الملوك الذين اعتبروا أنفسهم آلهة فى مصر وأقصوهم عن العرش ونصبوا مكانهم أفراداً من أسرة تنازلت عن كثير من حقوقها الإلهية وبدأوا عهدهم بأن جعلوا من أنفسهم أبناء للإله . ولكنهم لم يدعوا بأنهم آلهة .

* * *

ونعود إلى الأسطورة التى تتحدث عن هذا الانقلاب بالصيغة التى يفهمها مصريو ذلك العصر . وتفيد بأن هذا الانقلاب حدث بمشيئة الإله « رع » وكنتيجة لتدخله الشخصى .

وقد عثر عليها مكتوبة على بردية طويلة اشتراها رجل يدعى ( وستكار ) وسميت باسمه وكانت محفوظة حتى قبيل الحرب الأخيرة بين كنوز متحف برلين .

وفيما يلى نص هذه الإسطورة : —

حدث ذات يوم أن شعر جلالة الملك خوفو [١] بملل فدعا أولاده وطلب منهم ان يحدثوه بما يزيل هذا السأم وبما يدخل السرور والغبطة إلى قلبه .

فتقدم ابنه « خفرع » وقال : —

«هناك قصة حدثت فى عصر جدنا الأكبر الملك « نب — كا » إذ ذهب هذا الجد فى يوم من الأيام إلى معبد « بتاح » وفى طريقه عرج على منزل أحد الكهنة المرتلين ويدعى « أوبانر » .

وكان من بين حاشية الملك خادم وقع فى حب امرأة

---

( ١ ) أشهر ملوك الأسرة الرابعة الذى فرض اسمه على التاريخ ببنائه الهرم الأكبر بالجيزة والذى عاش حوالى ٢٨٥٠ ق.م.

الكاهن من أول نظرة . وتبادلت هى معه هذا الحب .

وفى المساء أرسلت زوجة الكاهن إلى الخادم صندوقاً يحوى هدية جميلة وطلبت إليه أن يقابلها فى ( كشكها ) الصيفى بحديقتها الكبيرة هناك وتمتعا بأوقات طيبة فى خلوتهما هذه .

وكان يراقبهما خادم للكاهن ، رأى من واجبه أن يطلع سيده على كل ما حدث .

فذهل الكاهن لهول ما سمع وصمم على الانتقام ، وقد كان من الرجال الذين تعمقوا فى شئون السحر وأتقنوها .

فطلب صندوقاً من العاج المحلى بالذهب ثم صنع تمثالا من الشمع لتمساح يبلغ طوله سبعة قراريط[١] وقرأ عليه تعويذة سحرية.

وطلب إلى خادمه أن يذهب فى المساء إلى البركة التى اعتاد الحبيبان أن يستحما فيها فيلقى بتمثال الشمع فى الماء .

وبعد لحظة قصيرة حضر العشيق ليستحم فى تلك البركة . وما كاد ينزل فى الماء حتى تحول ذلك التمثال الصغير إلى تمساح ضخم يبلغ طوله سبعة أذرع[٢] وأمسك بتلابيب العشيق وسحبه إلى قاع البركة .

وكان الملك يجلس فى ضيافة كاهنه المرتل . وعندما أراد

---

( ١ ) حوالى ١٤ سنتيمتراً .

( ٢ ) يبلغ الذراع المصرى ٥٢ سنتيمتراً ونصف .

الانصراف تقدم إليه الكاهن يرجوه أن يحضر إلى البركة ليرى بعينيه أعجوبة حدثت له .

وما كادا يصلان إلى حافة البركة حتى نادى الكاهن التمساح فخرج إلى سطح الماء ممسكاً فى فمه العشيق وقال الكاهن موجهاً كلامه الى الملك : —

« أن هذا التمساح من صنع يدى وهو ينفذ كل ما أطلبه منه »

ولكن الملك أمر الكاهن أن يعيد هذا الحيوان إلى الماء . إلا أن الكاهن أمسك بالحيوان فاستحال بين يديه إلى تمثال من الشمع صغير الحجم . وقص على الملك قصة زوجته مع خادم الملك .

فأمر الملك أن يظل التمساح ممسكاً بخادمه وأن يرجعا سوياً إلى قاع البركة . وهذا ما حدث واختفى العشيق إلى الأبد .

ثم طلب الملك إحضار زوجة الكاهن وأن تحرق وأن يلقوا برماد جسدها فى النيل .

فسر الملك خوفو من هذه القصة وأمر بتقديم قرابين إلى روح الملك « نب — كا » مكونة من ألف رغيف ومائة آنية من الجعة وثوراً كاملا وآنيتين مملوءتين بالبخور كما أمر بتقديم رغيف واحد وآنية واحدة من الجعة وآنية واحدة من البخور وقطعة من اللحم إلى روح الكاهن « أويانر » .

* * *

ثم تقدم ابن آخر وقص عليه قصة حدثت فى عصر الملك « سنفرو » الذى شعر هو الآخر فى أحد أيام حياته بالضجر .فأمر أتباعه أن يرووا له ما يزيل عن نفسه انقباضها .

فاقترح عليه كبير كهنته أن يأمر بإعداد قارب كبير ليتنزه فيه فوق سطح بحيرة القصر على أن يقوم بالتجديف أجمل نساء قصره .

فأعجبت الفكرة الملك وأمر أن تكون المجاديف من الأبنوس المحلى بالذهب وأن تكون أطرافها رقيقة خفيفة، كما أمر بإحضار عشرين من أجمل بنات القصر ليقمن بتحريك القارب وهن ينشدن أحلى الأغانى .

وفجأة كفت النساء عن الغناء . فاستفسر الملك عن الأمر فقالت له إحدى السيدات :

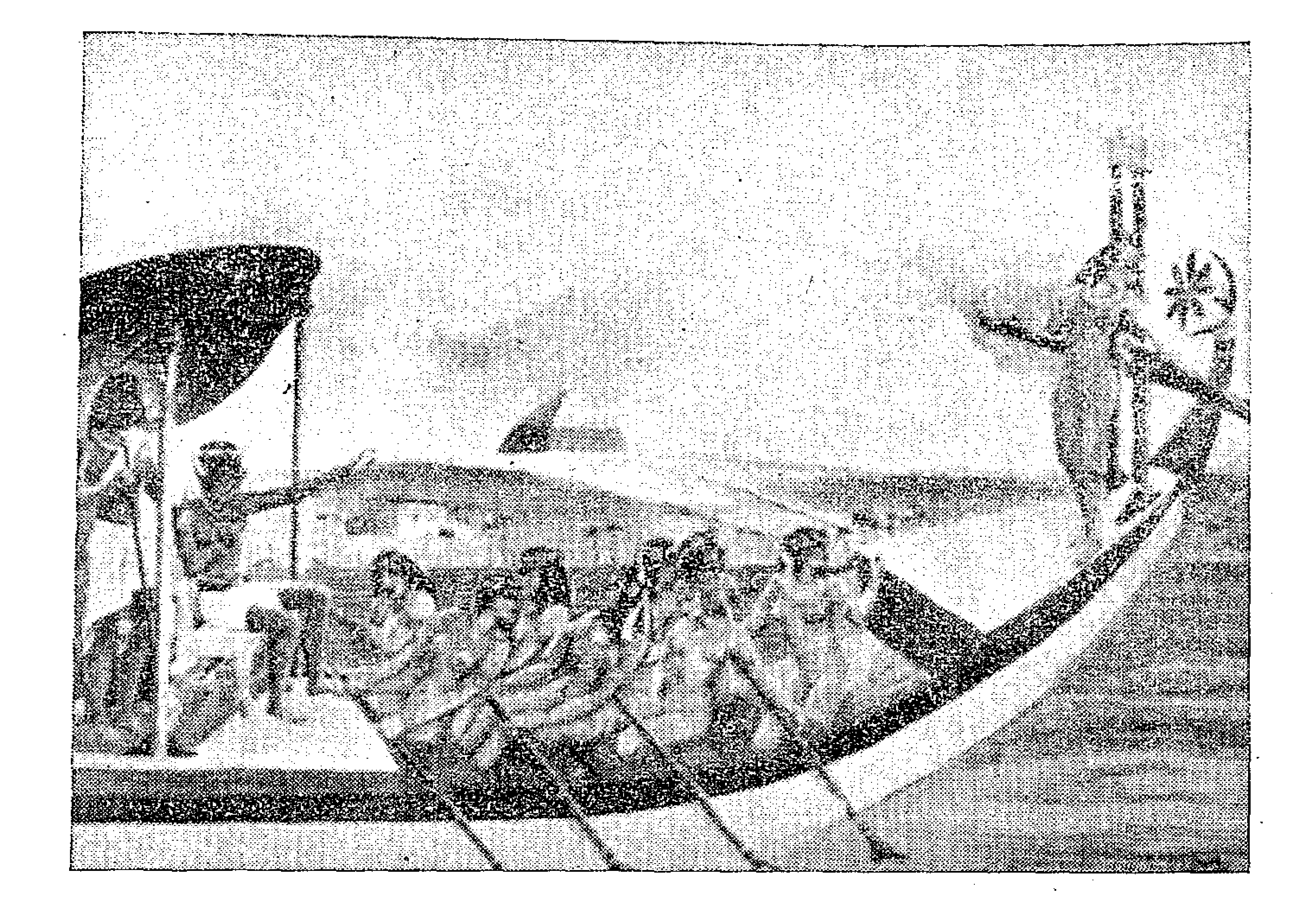
إن رئيستنا قد فقدت حلية سقطت منها فى قاع البحيرة .

فأمرها الملك أن تعود إلى غنائها وسوف يعوضها عنها بأحسن منها .

ولكنها رفضت الغناء وقالت : —

« أيها الملك ، إن قلبى حزين ولا أريد إلا حليتى كما هى . »

فنادى الملك رئيس كهنته وأخبره بالحادث . وطلب إليه أن يعيد إلى السيدة حليتها .



رسم تصويرى يمثل سنفرو فى نزهته وقد كفت إحدى السيدات عن الغناء بعد أن فقدت حليتها التى سقطت منها فى الماء .

وبالفعل قام هذا الكاهن بقراءة تعويذة سحرية واذا بالماء ينشق وظهرت الحلية فى قاع البحيرة وقد استقرت فوق قطعة من الخزف .

ونزل الكاهن من القارب وأحضر الحلية وسلمها إلى صاحبتها. ثم أعاد الكرة وتمتم بتعويذته فرجع الماء إلى ما كان عليه واستمر الجمع فى مرحه . واختتم الملك يومه بالفرح والسرور .

وأعجبت هذه القصة الملك خوفو وقدم القرابين إلى روح أبيه الملك « سنفرو » كما أمر بتقديم القرابين إلى روح رئيس الكهنة .

* * *

ثم تقدم الابن الثالث إلى أبيه وقال له : —

إن القصص التى سردت على أسماعكم هى من عصور غابرة ولا ندرى مدى صحتها . أما أنا فسوف أقص عليكم قصة ساحر يعيش بيننا فى هذه الأيام يدعى « ددى » ويسكن بقاع المستنقعات فى شمال الدلتا . عمره مائة سنة وعشرة وهو يأكل يومياً خمسمائة رغيف ونصف ثور ويشرب مائة آنية من الجعة وهو قدير فى شئون السحر إذ فى استطاعته أن يفصل رأس إنسان أو حيوان عن جسمه ثم يضمهما مرة ثانية فتعود إليه الحياة . وهو أيضاً يروض الوحوش فيجعلها مستأنسة ، وهو الوحيد بين

الناس الذى يعرف بدقة رسوم منزل الإله « تحوت » .

وكان هذا الأمر يهم الملك «خوفو» كثيراً لأنه كان يبحث منذ أمد طويل عن هذه الرسوم لكى يستغلها فى بناء أفقه (هرمه) .

وأمر الملك أن يحضر إليه « ددى » على وجه السرعة . وطلب إلى ابنه واسمه « ددف — حور » أن يستقل سفينة ويذهب لإحضار هذا الساحر .

وأبحر الأمير إلى الشمال حتى وصل إلى مكان هذا الرجل ثم سار فى محفته المصنوعة من الأبنوس إلى مسكن الساحر . فوجده راقداً فوق حصير أمام باب منزله وقد إسلم قدميه الى كاهن ليدلكهما .

وبعد أن تبادلا التحية وتحدث « ددى » عن حالة الإنسان فى سن الكهولة فاتحه الأمير فى أمر المهمة التى أتى من أجلها وقال : —

« لقد أتيت إلى هنا فى مهمة لأبى « خوفو » . ولأدعوك لتأكل من أطيب ما يعطيه لك الملك . ومن طعام حاشيته . حتى يجعلك تصل بعد حياة جميلة إلى آبائك الذين يقيمون الآن فى مدينة الأموات [١] . »

---

(١) معنى هذه الفقرة أنه سيضرب بحظ وافر فى الثروة وسيتقرب إلى الملك فيضمن بذلك حياة خالدة بعد الممات .

فحياه « ددى » قائلا :—

« أهلا ! أهلا ! بـ « ددف — حور » بن الملك الذى يحبه « أبوه . إنى طوع أمرك.. »

ثم مد الأمير يده إليه وساعده على الوقوف ومشى معه حتى الشاطىء ماداً بذراعه إليه (أى معتمداً عليه) .

وطلب « ددى » أن يسمح له بقارب لينقل فيه كتبه المتعددة وأولاده الكثيرين .

فنفذت مشيئته وأبحر إلى الجنوب ووصل هذا المركب إلى العاصمة .

وعند ما وصل الأمير « ددف — حور » إلى البلاط دخل على أبيه الملك « خوفو » مسرعاً لينبئه بحضور الساحر وقال : —

« سيدى الملك . لقد أحضرت ددى . »

فقال الملك : —

« أسرع وأدخله علىّ »

وذهب الملك إلى بهو الأعمدة بالقصر حيث أدخلوا عليه ددى هذا

ووجه الملك حديثه إليه قائلا : —

« كيف هذا يا « ددى » .

« إنى لم أرك إلى الآن . »

فقال ددى : —

« من بدع يجب .

قد دعانى الملك وها قد أتيت . »

فقال الملك : —

«أحقاً ما يرويه الناس عنك من أنه فى وسعك إعادة الرأس المقطوع إلى الجسد فتدب فيه الحياة مرة ثانية ؟ »

فقال « ددى » : —

« نعم يا سيدى الملك . أننى أستطيع ذلك . »

فقال الملك : —

« أحضروا لى أسيراً من السجن ليثبت فيه دعواه »[١]

فقال « ددى » : —

« أرجو ألا يكون هذا فى إنسان .

إننا لا نصنع هذا مع حيوان ممتاز .

فليأمر الملك بتجربة ذلك فى شىء آخر . »

* * *

فجىء له بأوزة . وفصل عنها رأسها . ووضع جسدها فى

---

( ١ ) أى بدلا من تنفيذ العقوبة المحكوم بها عليه .

الجانب الغربى من البهو ووضع رأسها فى الجانب الشرقى منه . وتلا «ددى» تعويذة سحرية . فوقفت الأوزة وتحركت . وكذلك فعل الرأس . ولما بلغ كل منهما الآخر التصقا وعادت الحياة إلى الأوزة وأخذت تصيح .

بعد ذلك أمر الملك بإحضار عجل ( ثور ) فصل رأسه عن جسده . ثم قرأ « ددى » تعويذته السحرية فوقف الثور بعد أن عادت إليه الحياة .

وهكذا أتى « ددى » بكثير من المدهشات مما جعل الملك يثق فى حكمته . فسأله بصراحة عن ذلك الأمر الذى كان يهمه أكثر من كل شىء ، أى عن أسرار معبد إله الحكمة « تحوت »

فقال ددى إنه لا يعرف هذا السر ولكنه يعرف أين هو .

فأمره الملك أن يطلعه على مكانه .

فقال له الحكيم ددى : —

إن هذه الرسومات موجوده فى صندوق موضوع فى مكان ما فى معبد هليوبوليس . ولكنى لن أستطيع إحضاره إليك .

فقال الملك : —

« ومن ذا الذى يحضره إلىّ ؟ »

فأجاب ددى : —

« يحضره إليك أكبر الأطفال الثلاثة الذين سوف تلدهم

السيدة ( رد — ددت ) . »

فسأل الملك متعجباً :—

« ومن تكون هذه السيدة رد — ددت؟

فأجاب ددى :—

« هى زوجة أحد كهنة الإله « رع » فى ( سخبو ) [١]

وهى تحمل من « رع » معبود « سخبو » ثلاثة أولاد .

وقد قال لها إنهم سوف يضطلعون بهذا المنصب الجليل .

وسوف يحكمون البلاد بأسرها .

وسيكون أكبرهم كبيراً لكهنة هليوبوليس . »

فحزن الملك من أجل ذلك كثيراً . وكيف لا يحزن وقد أدرك جيداً ما يعنيه هذا الحكم . فقد تكهن له بقرب ولادة ثلاثة أطفالٍ من سلالة جديدة أنشأها الإله « رع » من صلبه ، مختاراً زوجة أحد كهنته لتحل محل سلالة « خوفو » على عرش مصر .

وعند ما رأى « ددى » جزع الملك قال له :—

« لا تخف مما قلت .

---

( ١ ) مدينة ليس معروف مكانها حتى الآن . يبدو أنها كانت تحوى معبداً كبيراً للإله « رع » .

« إن ابنك سيحكم

وابن ابنك سيحكم قبل أن تلد « رد ــ ددت » أولادها وقبل أن يعتلى هؤلاء الأطفال عرش مصر . »

فأعلن « خوفو » رضاءه عن الحكيم ددى كما أعلن أنه سيزور معبد « رع » عند ما تهبط مياه النيل، ثم أجزل العطاء لددى وسمح له بأن يقيم مدى حياته فى قصر « ددف ــ حور » على أن تقدم له الألف رغيف والمائة آنية من الجعة وثوراً كاملا ومائة حزمة من البصل كل يوم .

وعندما أوشكت السيدة رد ــ ددت أن تلد أبناءها الثلاثة أحضر الإله « رع » كلا من الإلهات إيزيس ونفتيس ومسخنت وحكات وكذلك الإله « خنوم » وقال للإلهات :ــ

« اذهبن وساعدن « رد ــ ددت » على وضع أولادها الثلاثة الذين سيتولون هذا المنصب الجديد فى هذه البلاد بأسرها .

« ليبنوا لكن المعابد .

« ويعنوا بمذابحكن .

« ويكثروا من تقديم الشراب على موائدكن .

« ويقفوا الأراضى لقرابينكن . »

وأطاعت الإلهات أمره واتخذن صوراً بشرية وذهبن إلى دار السيدة أما « خنوم » فقد تبعهن كحمال (خادم يحمل المتاع) .

ثم قدمن أنفسهن كنساء مجربات يحذقن عملية التوليد .

فسر الكاهن الذى كان مهموماً من أجل زوجته وأدخلهن الدار واغلق وراءهن الباب .

وبدأن عملهن . وأخرجن إلى الدنيا ثلاثة أطفال طول كل طفل منهم ذراعاً . وكل واحد منهم ذو عظام قوية .

وتولت « إيزيس » منح كل طفل اسمه فى حين تنبأت «مسخنت » لكل طفل أنه سيكون ملك البلاد بأسرها[1] .

وعند ما تركت الإلهات الدار وأنبأن زوج رد — ددت بولادة الأبناء الثلاثة، شكرهن وأهداهن قمحاً تقبلنه راضيات وقد حمله « خنوم » على ظهره . وكان يقوم بدور الخادم لهن . وانصرفن إلى المكان الذى أتين منه .

وقالت « إيزيس » أثناء سيرهن :—

« أما كان من الأليق والأفضل أن نقدم معجزة إلى هؤلاء الأطفال الثلاثة ؟ . »

فوافقت الإلهات الأخرى على كلامها وصغن بعد هذه الملاحظة ثلاثة تيجان ملكية، وضعنها فى القمح الذى أخذنه كأجر لعملهن، ثم أثرن عاصفة شديدة جعلنها حجة لرجوعهن

---

( ١ ) وفى الحق تحققت هذه النبوءات لأن هؤلاء الأطفال الثلاثة قد أصبحوا فيما بعد الملوك الثلاثة الأول للأسرة الخامسة .



الإلهة « توريس » فى الوسط تدخل قاعة الولادة يصاحبها كاهنان وقد
تزيا بزى الإله « بس » . والجميع يغنون .

إلى منزل الكاهن ليرجونه أن يبقى القمح فى حجرة مقفلة حتى يعدن لأخذه .

وبعد أربعة عشر يوماً ، وعند ما بدأت رد ــ ددت تعنى بشأن دارها من جديد علمت أن الدار خالية من القمح فأمرت خادمتها بأن تجلب لها شيئاً مما تركته السيدات الأجنبيات على أن يعوضهن زوجها عنه .

غير أن الخادمة ما كادت تفتح الحجزة وتدخلها حتى سمعت فيها أصوات غناء وموسيقى ورقص وغير ذلك مما يحدث فى قصر الملك..

فأسرعت إلى سيدتها وأخبرتها بما رأت وسمعت وهرولت رد ــ ددت إلى الحجرة حيث سمعت بنفسها ما تحدثت به الخادمة غير أنها لم تستطع التعرف على المكان الذى تصدر منه تلك الأصوات وفى آخر الأمر عرفت أنها تخرج من بين القمح الذى أوصت بحفظه السيدات الأجنبيات .

فقامت رد ــ ددت بوضع هذا القمح وما فيه فى صندوق خشبى وضعته هو الآخر فى صندوق كبير وربطته بسيور من الجلد ووضعته فى حجرة أغلقتها . وختمتها بخاتمها الخاص مبالغة فى الحرص .

وعند مارجع زوجها اخبرته بكل ما حدث .

وبعد بضعة أيام أتت الخادمة أمراً دعا سيدتها إلى تأنيبها ومعاقبتها ولكن الخادمة فى ثورة غضبها قالت لرد — ددت :—

« لماذا تصنعين هذا معى ؟

« سأذهب إلى الملك « خوفو » وأخبره بأن أولادك الثلاثة « سيصبحون ملوكاً على مصر . »

وفرت الخادمة إلى عمها وقصت عليه قصتها . إلا أنه غضب منها وضربها وزجرها حتى لا تتحدث بهذا الكلام .

وذهبت الخادمة إلى الشاطىء النهر لترتوى من مائه وتغتسل لعلها تستعيد شيئاً من نشاطها . ولكنها ما كادت تقرب النهر حتى خرج عليها تمساح كبير وسحبها إلى قاع النهر .

ثم ذهب عمها وقدم نفسه إلى السيدة رد — ددت وقد وجدها فى حالة من الحزن والقنوط بسبب ما حدث . وسألها ما خطبها ، ولم كان حزنها ؟

فاجابته بأنها تخشى الوشاية من خادمتها .

فأجاب الرجل : —

« لا تخشى شيئاً فقد خطفها تمساح كبير واختفى . »

* * *

وهنا ينتهى النص لا لأن القصة قد انتهت بل لأن البردية تآكلت وتهشمت . ومما يؤسف له أن المؤرخ لا يستطيع التعرف

على هذه الخاتمة التى ربما كانت تنبئنا بما سوف تقوله السيدة رد ــ ددت إلى عم الخادمة وما سوف ينتهى إليه الأمر .

* * *

وتعليقنا على ما جاء فى القصة من أن الأولاد الثلاثة قد ولدوا فى عصر خوفو بينما الساحر « ددى » قد أكد للملك أنهم سيولدون بعد انتهاء حكم حفيده، هو أن الكاتب قد أشكل عليه الأمر ولم يكن يقظاً عند ذكر حوادث قصته . وعلى كل حال فهذه الأسطورة اعتبرت نموذجاً يجب على كل طالب علم بين المصريين القدماء أن يتقن كتابتها ويتعرف محتوياتها .

والنص الذى وصل إلينا نؤرخه من عصر الدولة الوسطى . ولعل مرور بضع مئات من السنين كان السبب فى عدم تعلق الكاتب بالمحافظة على الأمانة فى سرد قصته . . !

## أسطورة

## حاتشبسوت ونسبتها إلى الإله « آمون »

تعتبر الأسرة الثامنة عشر بمثابة أزهى عصور الدولة الحديثة لأن الانتصار الكاسح الذى أحرزه أحمس الأول فى كفاحه مع الهكسوس ومطاردته لهم فيما وراء الحدود المصرية يعتبر الأساس الأول للامبراطورية المصرية .

وبدأ المصريون يتعرفون على حضارات الأقطار المجاورة فى الشمال الشرقى لمصر وفى جنوبها .

وخلف أحمس الأول ابنه أمنحوتب الأول على العرش ثم تمكن رجل لا يمت بصلة النسب إلى العائلة المالكة أن يتولى عرش مصر بعد أن تزوج من إحدى أميرات البيت المالك . هذا الرجل هو تحوتمس الأول الذى اشتهر بالكفاءة وقوة العزيمة وتمكن من أن يوطد أركان الإمبراطورية التى كونها أحمس الأول وأن يوسع رقعتها . إلا أن هذا الرجل لم يكن سعيداً فى أواخر أيامه إذ حدثت مشكلة كبرى لتوريث العرش :

فعند ما بدأ الضعف يدب فى أعضاء هذا الرجل العظيم رأى أن يمنح العرش لابنه تحوتمس الثانى بعد أن زوجه من ابنته

الكبرى حاتشبسوت . ولكن هذا الابن لم ينعم بالملك طويلا وأدركته المنية بعد فترة قصيرة .

فأراد الأب أن يتولى العرش فى مصر أحد أبنائه غير الشرعيين بعد تزويجه من ابنته حاتشبسوت. ولم يستطع ذلك إلا بعد أن استعان بكهنة « آمون » وخرجوا على الناس بنبوءة كشف عنها الإله تهدف إلى اختيار الشاب الصغير تحوتمس الثالث ملكاً على مصر.

وبعد فترة قصيرة مات الملك العجوز تحوتمس الأول وأسدل الستار على هذه النبوءة الإلهية .

أما حاتشبسوت التى كانت تتمتع بشباب غض وجمال فائق وذكاء خارق وأطماع لا حد لها فأرادت أن تستقل بالحكم وأن تتخلص من زوجها بطريقة شرعية .

فطلبت إلى الكهنة ( أى كهنة الإله آمون ) ان يبادروا إلى مساعدتها فى تنفيذ خطتها . وما كان أسرعهم إلى تنفيذ أوامرها .

فخرجوا على الناس بالأسطورة التالية وهى منقوشة على جدران معبد الملكة بالدير البحرى بالأقصر :—

ذات يوم جمع ملك الآلهة « آمون — رع » بعضاً من رفقائه وأعلن لهم رغبته فى أن يخلق ابنة لتحكم مصر وأنه يود أن تولد هذه الابنة من امرأة من البشر.

فتقدم « تحوت » الإله العظيم الذى يعرف كل شىء وقال :ـ

« إن هناك امرأة واحدة لا مثيل لها لهذه المهمة . إنها « أحمس » ملكة القطرين . زوجة تحوتمس ( الأول ) . وأنصح ملك الآلهة أن ينتهز فرصة سفر زوجها لزيارتها . »

* * *

ونفذ « تحوت» الخطة واصطحب « آمون » إلى قصر تحوتمس الأول واتخذ الإله شكل الزوج ودخل مخدع الملكة فوجدها مضطجعة على سريرها بجمالها الزاهى ونبه عبيق الإله ـ الذى ملأ جنبات المخدع ـ الملكة .

فسارع إليها الإله وكشف لها عن شخصيته وأخبرها بما وطد العزم عليه . وذهلت الملكة من جمال الإله وطغت عليها موجة من السعادة لا حد لها ، وتملكها حب الإله . وصاحت تقول :ـ

« ما أعظمك !

« ما أجمل أن أستملى وجهك !

« وما أحلى أن تضمنى إليك ! »

فقال الإله للملكة :ـ

« اخترت لابنتى منك اسم حاتشبسوت وقررت لها أن تحمل عبء الملك فى هذه البلاد . »

« أنها من روحى وتيجانى لها .

« وسوف تصبح ملكة القطرين وسوف تقود الرجال فى هذه البلاد . »

واستدعى « آمون» على عجل الإله « خنوم » صانع البشر والذى يشكل أجسامهم من الطين فوق عجلة الفخارى وقال له :

« لتصنع ابنتى هذه وقرينتها من أعضائى هذه .

« ولتشكلها بجمال لامثيل له بين الآلهة .

« اصنع لى ابنتى هذه التى أنجبتها .

« لقد وهبتها الحياة والسعادة والقوة .

« سأمنحها كل شىء لتصبح مثل « رع » الأبدى . »

فأجاب على ذلك « خنوم » بما يأتى :ـ

« سأصنع لك ابنة اسمها حاتشبسوت لها الحياة والصحة والسعادة .»

« سوف يفوق جمالها جميع الآلهة حتى يتفق مع مكانتها كملك لمصر العليا ومصر السفلى . »

* * *

وجلس خنوم » على عجلة الفخارى و بدأ يشكل جسمى حاتشبسوت وقرينتها ( كا ) وأخذ يبتهل طوال هذه العملية بدعوات طيبات قائلا :ـ

« هنيئاً لك . لقد قمت بتشكيل جسمك من أعضاء آمون . »

« طوبى لك فإنى شكلتك لتكونى أجمل من أى إله آخر .

« سأعطيك الحياة كلها ومعها السعادة والقوة والحظ .

« سأعطيك الصحة بأكملها .

« سأعطيك كل البلاد والشعوب .

« سأهبك كل ما لذ وطاب من المآكل والمشارب حتى

« تصبحى أهلا للجلوس على عرش «حوريس» مثل «رع »

« إلى الأبد .

« سوف تفوق قرينتك كل ما للبشر من قرائن (جمع قرينة)

« وهكذا ستضيئين كملك لمصر العليا ومصر السفلى .

« وكسيدة للجنوب والشمال .

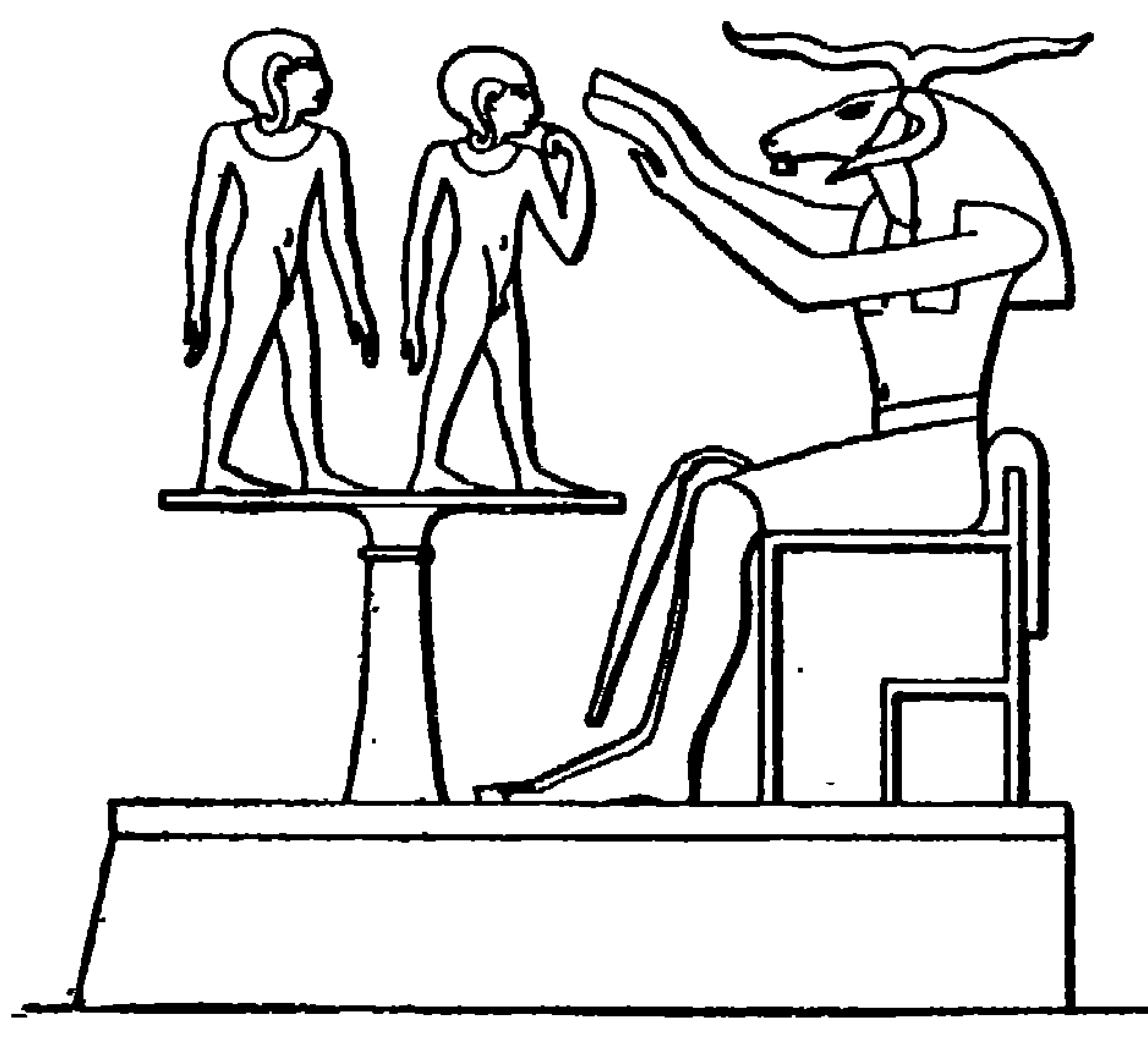
« لا غرو فإن هذه هى أوامر والدك الذى يحبك . »

ويرى المدقق أن المناظر — التى قام بنقشها فنانو هذه الملكة فوق جدران معبدها بالأقصر والمعروف باسم الدير البحرى — تمثل الملكة آحمس ( الوالدة ) وقد جلست قبالة ملك الآلهة «آمون» على عرش طويل يشبه فى شكله ما اعتاد المصرى أن يمثل به شكل السماء وقد ارتفع هذا العرش فوق أيدى إلهتين جلستا فوق أريكة . ويرى الناظر أيضاً الإله وهو يقدم رمز الحياة إلى الملكة

الوالدة . ويجدر بنا هنا أن نشهد ببراعة الفنان الذى تمكن أن ينسج ستاراً من الوقار والعظمة حول هذا المنظر.

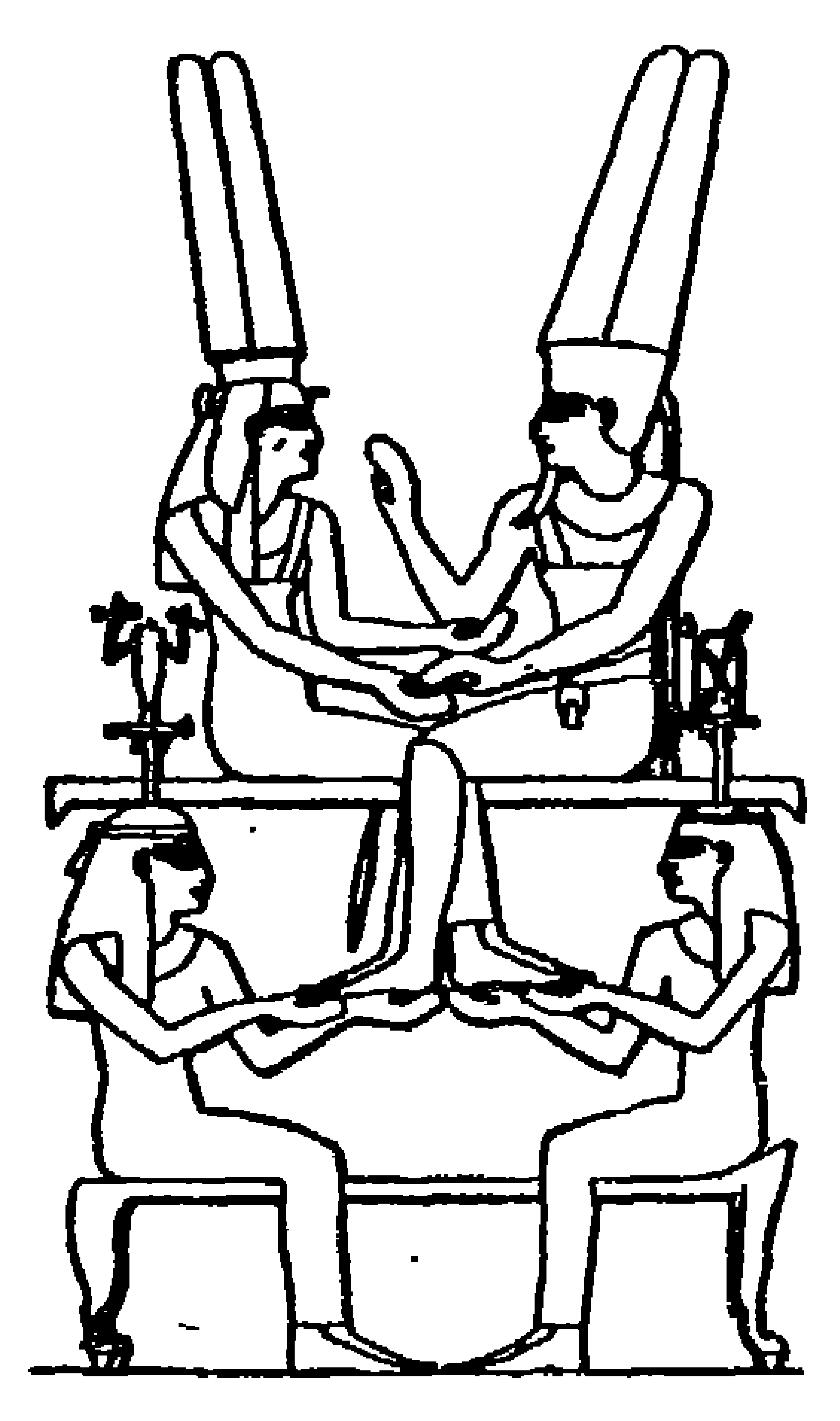
ومن ثم نرى الملكة آحمس يحييها الإله « تحوت » وقد صاحبته الإلهة « حكت » التى تقوم بعملية الولادة بين الآلهة . ثم يقودانها إلى الحجرة التى سوف تتم فيها الولادة .

ويتبع ذلك منظر آخر نرى فيه الملكة تجلس فوق عرش

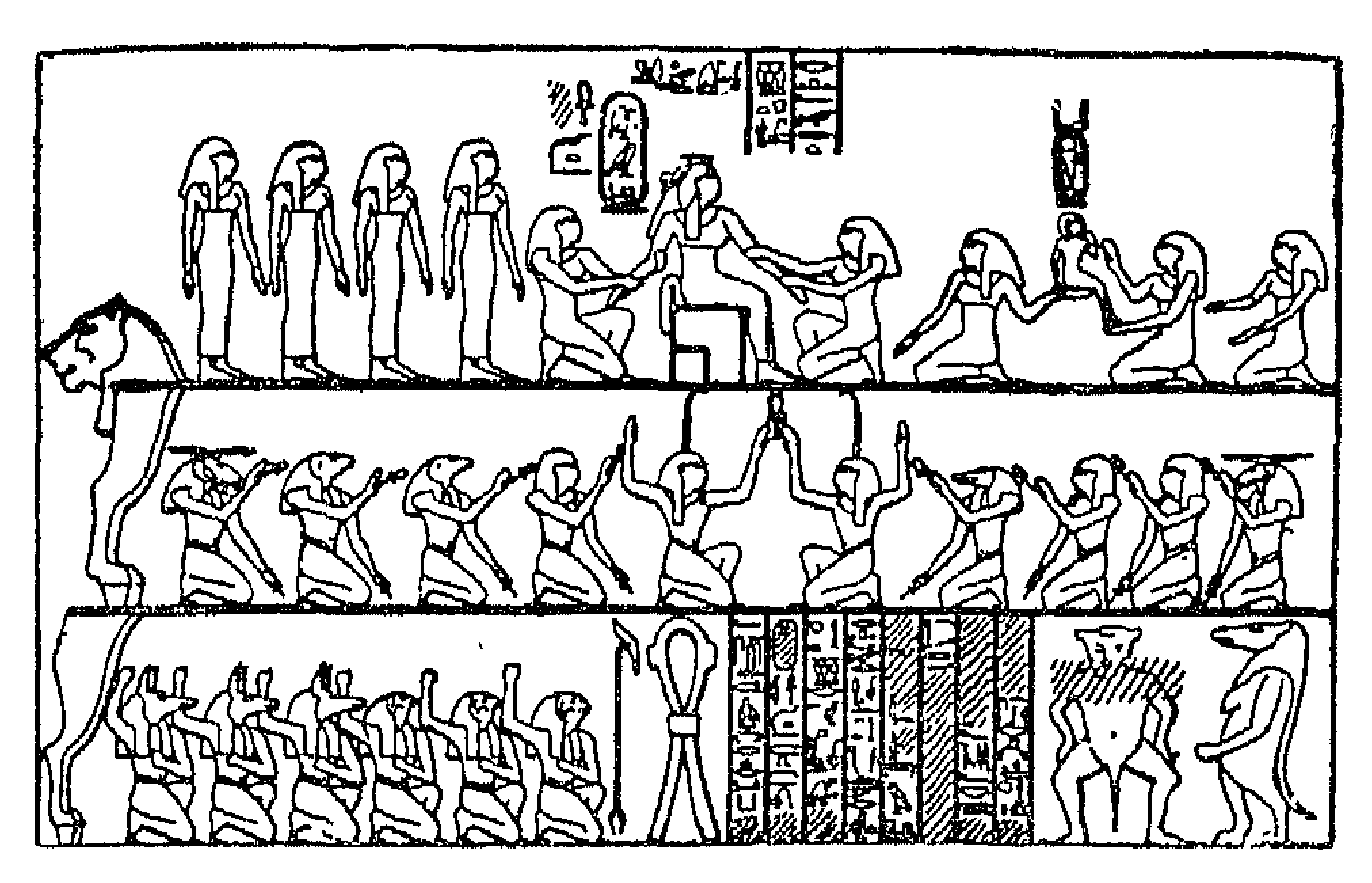


« خنوم » يجلس إلى عجلة الفخارى ويقوم بصنع جسمى حاتشبسوت وقرينتها من الطمى.

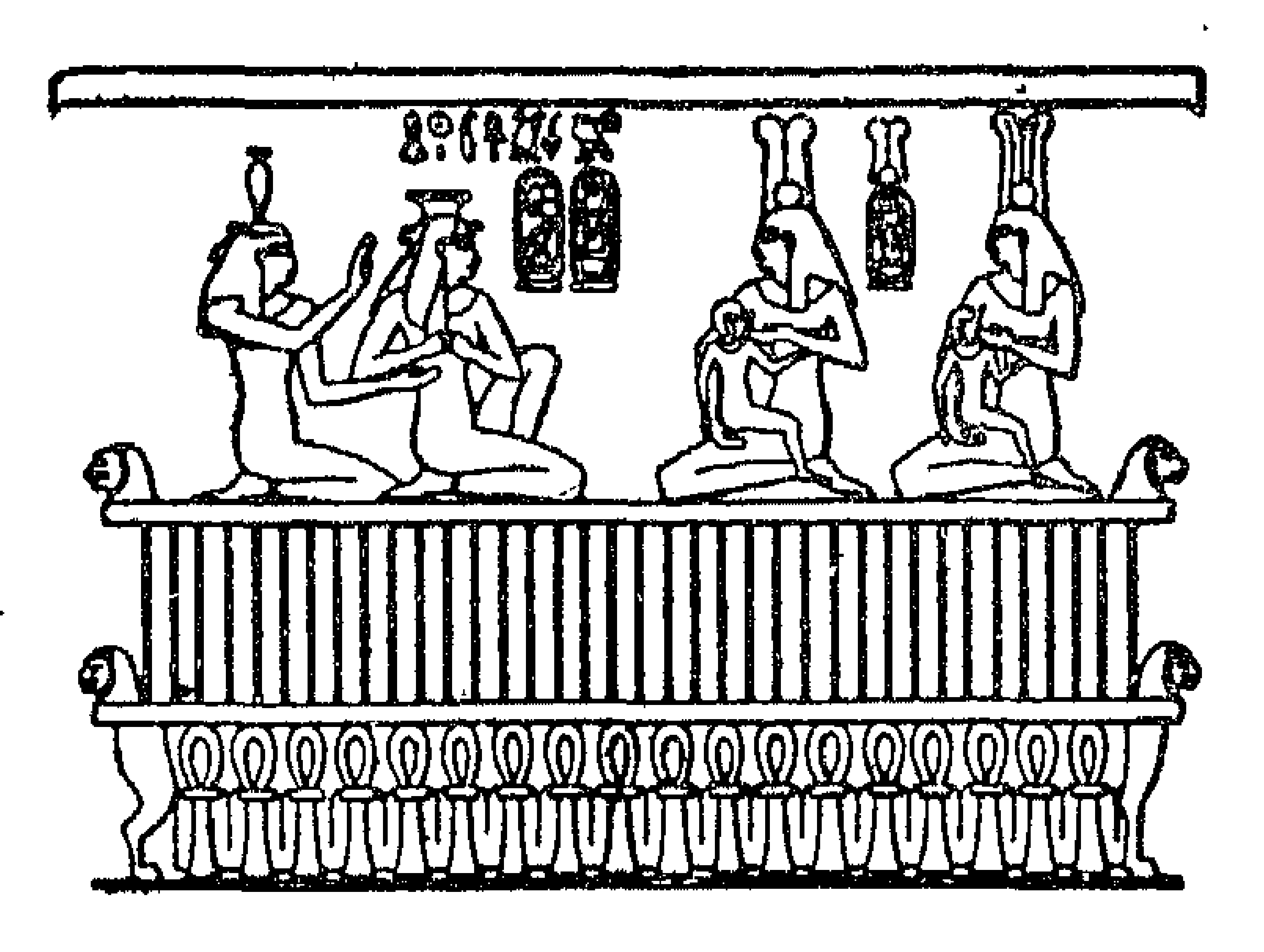
كبير وقد اضطجعت بين حشيات كثيرة محتضنة ابنتها المقدسة التي ولدتها من أبيها « آمون — رع » وقد احتشد المكان بأربع آلهات يقمن على خدمة الطفلة . ثم بعدة آلهة أخرى بين ذكور وإناث وقد أحاطت هذه الآلهة جميعاً بها . يتمتم كل منها بما يبتهله لهذه الطفلة من صحة طيبة وسعادة لا مثيل لها ، وجبروت وسلطة لا حد لهما .



« آمون » يجلس مع الملكة الوالدة يتناجيان



آحمس وقد أحاطت بها الآلهة والإلهات يقمن على مساعدتها فى ولادة ابنتها حاتشبسوت .



الإلهات يرضعن الطفلة حاتشبسوت وقرينتها

بعد ذلك نرى منظراً يبين لنا مثول الآلهة « حاتحور » بين يدى الإله « آمون — رع » تعلن له الخبر السعيد بولادة طفلته .

فيفرح بذلك ويوجه الكلمات الآتية إلى ابنته هذه : —

« أنت يا أعظم جزء منى .

« ستصبحين ملكاً[1] على مصر .

« سوف تجلسين على عرش « حوريس » إلى الأبد .»

ثم توجه الإله « آمون — رع » إلى الآلهة الأخرى المجتمعة حولها بالكلمات الآتية :—

« ها هى ابنتى حاتشبسوت معكم .

« لتحيطوها بحبكم وعطفكم .»

فأجابت الآلهة بالكلمات الآتية :—

« هذه هى ابنتك حاتشبسوت التى تحيا .

« سنحيطها بحبنا وعطفنا وستحيا فى سلام وهدوء .

« إنها ابنتك التى خلقتها من نفسك .

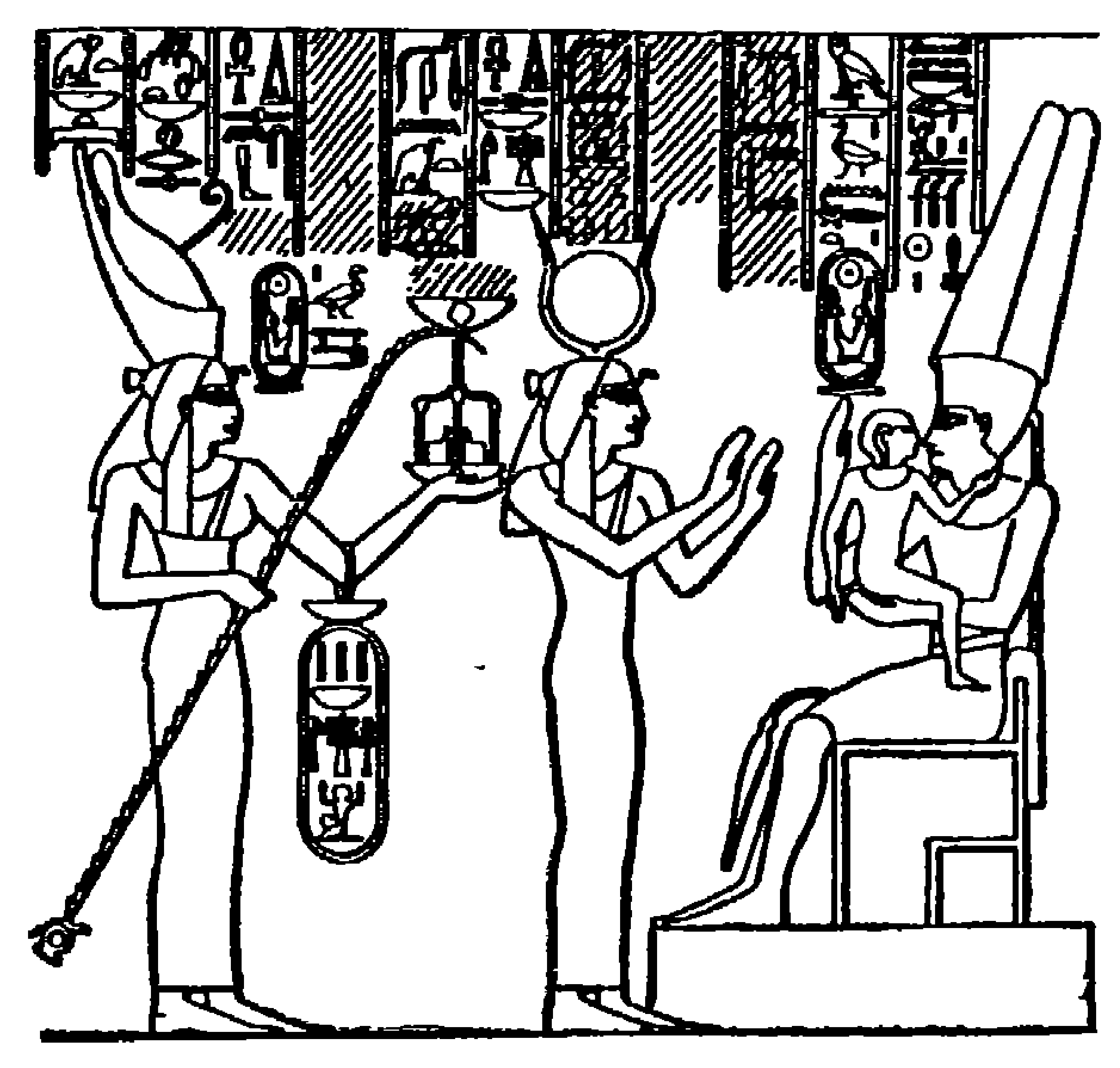
« إنك أعطيتها روحاً من روحك .

« إنك أسبغت عليها قوة سحرية من قوتك .

---

(١) حرص كهنة « آمون » على تلقيب هذه الملكة بكل الألقاب التى كانت تعطى للملوك الذكور وغالوا فى ذلك إلى درجة أنهم صوروها على هيئة رجل كما استعملوا عند الحديث عنها ضمائر الذكور .

« لقد امتلكت البلاد وكل ما تظلله السماء بينما كانت فى
« بطن أمها .
« إنها لصاحبة كل ما تحتويه البحار .
« هذا ما صنعته لها .
« إنك أعطيتها حظ « حوريس » فى الحياة .
« لقد وهبتها سنى « ست » فى السعادة . »



الإلهة « حاتحور » تقدم الطفلة حاتشبسوت إلى أبيها « آمون — رع »

ويذكر التاريخ أن هذه الملكة قد نجحت فى مؤامرتها هذه ضد زوجها الملك تحوتمس الثالث وقد كان فى ذلك الوقت صبياً لا يزيد سنه على العشر سنوات . وكان نجاحها مؤكداً نظراً لمساعدة كهنة « آمون » لها من ناحية ، ولأنها استطاعت من ناحية أخرى ، أن تجمع حولها فئة من الرجال عرفوا بحكمتهم واشتهروا بحنكتهم فى مختلف ميادين العمل ونخص بالذكر منهم المهندس « سنموت » الذى بز كل الآخرين فى تقربه إلى الملكة وإليه يرجع الفضل فى بناء معبدها الجميل المعروف باسم معبد الدير البحرى ، كما أقام لها مسلتين عظيمتين فى فترة قصيرة تعتبر مثلا قياسياً ، إذ أتم هذا العمل الكبير فى مدة سبعة أشهر.

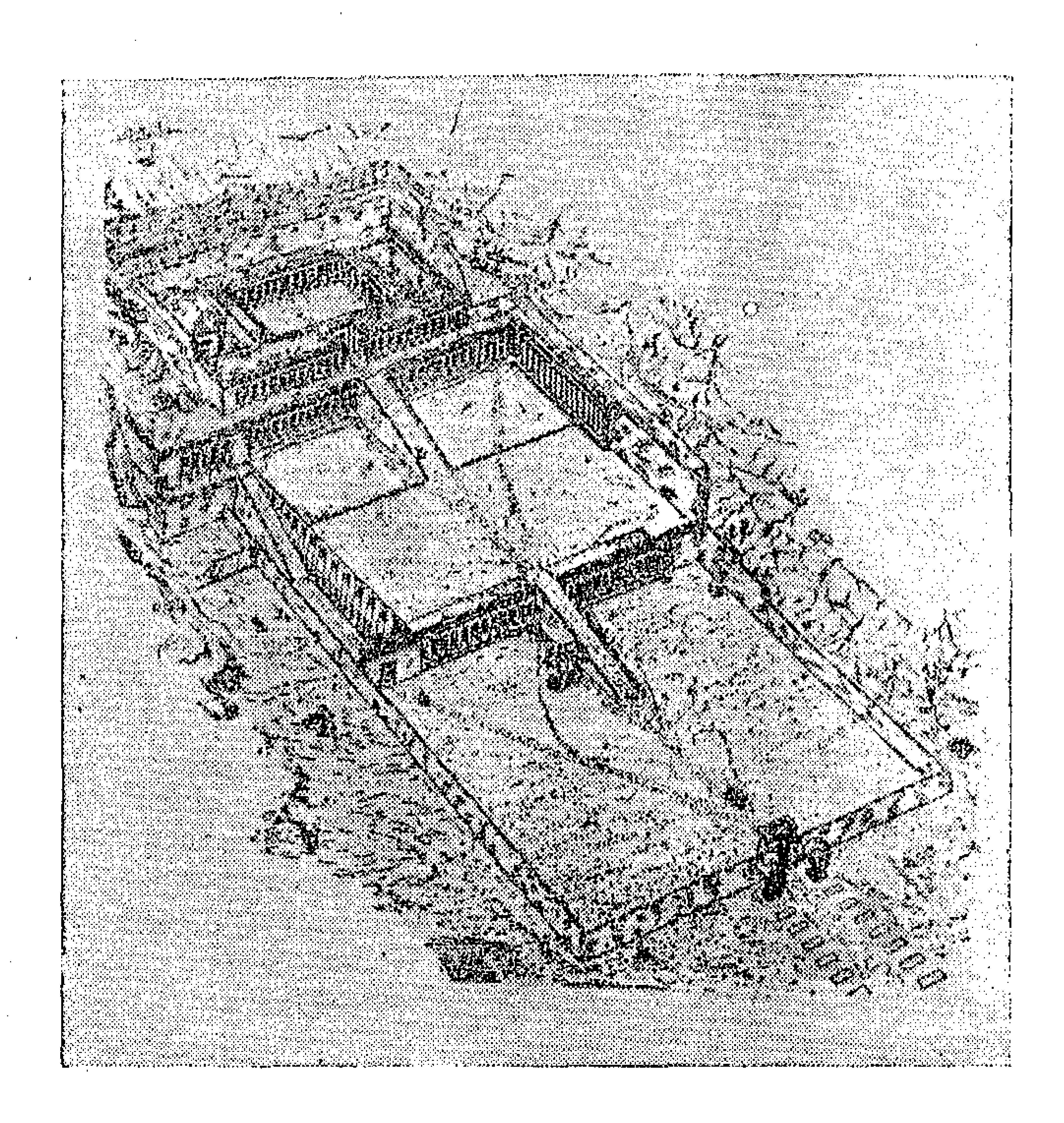
وليس من شك فى أن حاتشبسوت نفسها كانت تتميز بالذكاء وحسن الإدارة والتفهم الدقيق لما يجرى فى البلاد من أحداث ولو إنها لم تجرد حملات حربية لفتوحات جديدة ، إلا أنها أرسلت بعثات سلمية لتوطد العلاقات التجارية بين مصر والأمم المتاخمة لها .

وأشهر هذه البعثات هى تلك التى أرسلتها إلى بلاد ( بونت ) والتى نعتقد بأنها هى بلاد الصومال الحالية . واستطاع رجالها أن يحصلوا من هذه البلاد على كل ثمين وغريب .

وهكذا استمتعت البلاد فى عصرها بسلام حقيقى وبرخاء

كبير كانا هما الأساس القوى الذى مكن زوجها تحوتمس الثالث من أن يقيم عليه ذلك البناء الضخم ، ألا وهو الإمبراطورية المتسعة الأرجاء التى امتدت حدودها شمالا حتى اعالى الفرات وبلاد الحيثيين. وجنوباً إلى ما وراء الشلال الرابع .

وكانت حاتشبسوت فى حياتها عظيمة قوية .بحيث إنها حافظت على ما ادعاه كهنة « آمون — رع » من أنها ابنة الإله « آمون » من صلبه .



معبد حاتشبسوت الذى يعتبر تحفة فنية من ناحية هندسته المعمارية وروعة نقوشه .
وهو المشهور باسم ( معبد الدير البحرى ) ويقع على الشاطىء الغربى للنيل بطيبة
( الأقصر ) .

## أسطورة

## « إيبو — ور »

لقد سبق الحديث عما وصلت إليه الدولة القديمة من تقدم سريع فى شتى مرافقها المادية والمعنوية . ولقد عاش شعب مصر طوال هذا العهد فى سلام ووئام لم يعهدهما فى العصور اللاحقة . فلم يحدث أن شعر بالخطر الخارجي ولم يدبر شؤونه على أساس سياسة خارجية واسعة المدى .

ومن أجل هذا طبع هذا العصر بطابع خاص يقوم على شعور المصرى بطمأنينة واستقرار داخلى جعلاه ينحو نحو المادية فى كل شىء .

إن الشعور المصرى بقوته واستقراره وبعدم وجود أخطار يمكن أن تداهمه من الخارج جعله لا يفكر إلا فى إسعاد نفسه ولا يركن إلا للماديات الواقعية .

ولنعطى لذلك مثلا . فان المصرى فى عصر الدولة القديمة كان لا يفهم ان الحياة الثانية ميسورة إلا إذا استعد لها بإقامة مقبرة ضخمة يزودها بكل مايحتاج إليه البشر من مأكل ومشرب وملبس فعلى . وكانت السعادة فى الحياة الثانية بمثابة سلعة

يشتريها القادر على دفع ثمنها . وكان الثمن هو رضاء الملك من ناحية وتكديس القرابين فى المقبرة من ناحية أخرى .

لقد فهم المصرى هذا واعتقد أن الآلهة أنفسهم قد قرروا مصيره على هذا الأساس البسيط وهو : —

أن السعادة والحظ لا ينالهما الإنسان إلا حسبما تملكه يداه . فمن كان غنياً ومن عظم قدره بين الناس بقى طوال حياته الثانية متمتعاً بما حظى به فى حياته الأولى .

وقام المجتمع المصرى على أساس هذه الفكرة كما قام أيضاً على عقيدة جعلت الفرعون المصرى هو محور كل نشاط وصاحب السيطرة فى مصر .

ولم تسجل الأحداث فى مصر طوال عصر الدولة القديمة ما يدعو إلى زعزعة هذه العقيدة . حتى أتى عصر الملك پيبى الثانى أحد ملوك الأسرة السادسة الذى تولى العرش وعمره ست سنوات ، ومات وقد قارب المائة .

وليس من شك أن مثل هذا الحكم الطويل لملك واحد يحمل بين طياته التفكك والانحلال . ولسنا ندرى هل السبب فى تدهور السلطة المركزية فى البلاد يرجع إلى ما كان يسودها من سخط وفزع ابتداء من عصر الأسرة السادسة ؛ أم يرجع الى ما يرتكبه ملك ضعيف مسن من حماقات ؟

وعلى كل حال ، فإن الثابت من التاريخ أن مصر قد ترنحت وسقطت فى هوة عميقة من الاضمحلال والانحلال بعد موت پيبي الثانى هذا مباشرة ( أى حوالى ٢١٨٠ ق . م ) . ويطلق المؤرخون على العصر التالى اسم ( عصر الاضمحلال الأول ) .

لقد انهار صرح الملكية فى مصر وتفككت عرى الوحدة فى البلاد . وتلاشت القوة المركزية . وأخذ كل حاكم لأقليم يحتفظ لنفسه بإقليمه يورثه لأولاده .

وانتهز الشعب هذه الفرصة وحاول جهد استطاعته أن يتحرر من ذلك الغول القوى الجاثم فوق صدره . فقام بثورة جامحة كانت ككل الثورات فى كافة العهود ، لا رابط لها كالنار تأكل كل ما تلقاه . فإن لم تجد شيئاً أكلت نفسها . . .

وهكذا رزحت البلاد تحت عبء ثقيل من الفوضى والخراب فزالت قدسية الفراعين واختفت معالم الحضارة المزدهرة . وخبت نار التقوى والخشوع للآلهة . وانهار صرح التقاليد . وساد الخوف وعم البؤس والفقر والجوع . وسيطرت مظاهر الاضطراب على كل شىء فى الحياة .

ومن الغريب حقاً أن يضمحل كل شىء فى مصر ولا يزدهر فيها إلا الأدب . فقد وصلتنا عدة مخطوطات ترجع إلى هذا

العصر تحوى روائع أدبية لا مثيل لها بين الأدب المصرى القديم .

وأهم هذه المخلفات الأدبية هى قطعة من الأدب التهذيبى لحكيم يدعى « إيبو – ور » وقد وصف حالة البلاد وصفاً رائعاً وصور البؤس المنتشر فيها تصويراً خالداً ؛ ثم هو يتجه إلى الملك الحاكم ويعنفه ، ويرجع هذه الفوضى إلى استهتاره وضعفه وتهالكه على العرش دون أن يرعى شؤون الناس .

وإن الشجاعة التى صاحبت تعبيرات هذه القطعة لمما يثير الدهشة لصدورها عن مصرى قديم يخاطب فرعون قائلا : —

« إن ندماءك قد كذبوا عليك . . .

« البلاد تشتعل والناس على شفا الهلاك . . .

« هذه السنوات كلها سنى حرب وبلاء . . . »

* * *

وفيما يلى ترجمة لهذه القطعة الأدبية : —

« ما هذا الذى حدث فى مصر . . . ؟

« إن النيل لا يزال يأتى بفيضانه .

« وليس هناك من يقوم بحرث حقله . .

« إن كل إنسان يقول : إننا لا ندرى ما سيحدث فى البلاد

« لماذا حقاً أصبح الفقراء يمتلكون الكنوز ؟ . . .

« إن من كان لا يمتلك نعلا أضحى الآن من الأثرياء

« لماذا حقاً أصبح الموتى يدفنون فى النهر؟ . . .
« إن النهر أصبح جبانة وجعل الناس منه مكاناً للتحنيط .
« لماذا حقاً عم الحزن الأشراف . . .؟
« بينما ساد الفرح والسرور الفقراء .
« لقد أصبح حديث الناس فى كل مدينة يهدف إلى أن
« يقتل بعضهم بعضاً .
« لماذا حقاً انتشرت القذارة فى البلاد . . . ؟
« لم يعد لمصرى ثوب أبيض اللون فى هذه الأيام .
« لماذا حقاً انقلبت البلاد رأساً على عقب . . . ؟ كما لو
« كانت موضوعة على عجلة الفخارى .
« أصبح اللص الآن من أصحاب الثروات . ..
« لماذا حقاً تختفى التماسيح بما تحمل فى أفواهها . . . ؟
« لماذا حقاً انتشرت الصحارى فى البلاد ؟ . . .
« إن الأقاليم قد دهمها الدمار .
« انتشر الأجانب المتبربرون فى مصر .
« اختفى أثر الرجال من البلاد .
« لماذا حقاً قد اختفى الضحك من البلاد . . .؟
« لقد حل محله العويل وامتزج بالولولة .
« لماذا حقاً أصبح الناس يحطمون أولاد الأشراف على الجدران ؟

« إن أولئك الأطفال الذين كان الناس يتضرعون إليهم
« أصبحوا الآن يتركون على قارعة الطريق .
« لماذا حقاً أخذت الخادمات يثرثرن بألسنتهم . . . ؟
« وإذا نبهتهن سيداتهن إلى ذلك تململن مستهزئات ضجرات
« لماذا حقاً أصبحت الطرقات غير محروسة . . . ؟
« يقبع الانسان بين الاعشاب ليداهم المسافر بالليل .
« يسلبه متاعه ويسرق ما عليه من ثياب .
« ثم يضربه بالعصا حتى يفارق الحياة .
« هل لحياة الإنسان أن تنتهى ؟
« وينعدم النسل وتبيد الذرارى ؟
« وتسكن الأرض وتنتهى المنازعات ؟
« لماذا حقاً قد اندثرت الحبوب من كل مكان ؟
« وأصبح كل إنسان يقول إن كل شيء قد اختفى .
« نهبت محتويات كل شونة .
« وألقى بحارسها فوق الأرض .
« يا ليتنى رفعت صوتى فى ذلك الوقت .
« فلعلنى كنت جنبت نفسى ما أنا فيه الآن من شقاء .
« لماذا حقاً قد ضرب بقوانين البلاد عرض الحائط ؟
« وأخذ الناس يطأونها بأقدامهم .

« وجمهرة الشعب تمزقها بيديها .
« انظروا كيف غدت نساء الأشراف متسولات .
« وكيف اشتغل الكبراء فى المصانع .
« ومن لم يكن يمتلك خرقة ينام عليها .
« أصبح اليوم وهو صاحب سرير .
« انظروا . . . إن أولئك الذين كانوا يرفلون فى الثياب
« أصبحوا فى أسمال بالية .
« بينما ذلك الذى لم يحز ثوباً واحداً .
« أصبح الآن صاحب أفخر الثياب .
« انظروا . . . إن ذلك الأصلع الذى لم يكن لديه شيء
« من الزيت أصبح الآن يمتلك القدور الملأى بالطيب والمر .

* * *

« انظروا . . . إن تلك المرأة التى لم يكن لديها علبة صغيرة
« أصبح لها الآن صندوق كبير .
« وتلك التى كانت تنظر إلى صفحة الماء لترى وجهها
« أصبحت تملك الآن مرآة .
« انظروا . . . كيف أصبحت القطعان تسير على غير هدى
« لا يحرسها ولا يقودها إنسان .
« يأخذ كل من يريد منها ما يشاء ويدمغه باسمه .

« انظروا . . . أن من كان يقضى الليل يلهث من العطش.
« أصبح الآن قادراً على تعاطى الجعة القوية .
« ومن كان يفتقد الرغيف .
« أصبح الآن يمتلك مخزناً للغلال .
« انظروا . . . أن من كان لا يمتلك ثوراً
« أصبح الآن من أصحاب القطعان . »

* * *

وبعد ذلك يأخذ هذا الحكيم يذكر الناس بالعهود الغابرة حين كان السلام يسود مصر والفرح والهناء يرفان على الناس فيقول :—

« تذكر كيف كانت الأعلام ترفع .
« وكيف كانت اللوحات تنقش .
« وكيف كان الكاهن يطهر جنبات المعبد .
« وكيف كان منزل الإله يدهن باللون الأبيض .
« وكيف كان عبيق البخور يملأ الجو .
« وكيف كانت المذابح تعج بما يوضع فوقها من قرابين . »

ويستمر « إيبو — ور » فى سرد محاسن الماضى ومباهجه إلى أن يصل إلى ما كان يقصده فعلا من توجيه النذر إلى الملك نفسه فيقول :

« لديك الحكمة والبصيرة والعدالة .

« ولكنك تترك الفساد ينهش البلاد .

« وكذلك ضوضاء المتقاتلين .

« انظر . . . ألا ترى كيف يضرب الواحد الآخر .

« وكيف تمتهن أوامرك .

« إذا سار ثلاثة من الرجال فى طريق أصبحوا اثنين .

« إن الكثرة من الناس تقتل .

« هل هناك راع يحب الموت ؟

« هل لك أن تأمر حتى يأتيك من يحدثك بالحقيقة .

« لقد كذب ندماؤك عليك .

« فالبلاد أتون مشتعل .

« والناس على شفا الهلاك .

« هذه السنوات كلها سنوات حرب وخراب .

« الحقيقة أنك أوصلت البلاد إلى هذا الدمار .

« والحقيقة أنك تتفوه كذباً . »

## قصة

## « آتون » إله التوحيد

لقد ذكرت فى مقدمة هذا الكتيب مدى ما وصل إليه تعدد الآلهة عند المصريين القدماء . إلا أن التقدم الذى سار فيه الشعب المصرى خلال القرون جعله يفكر فى إدماج الآلهة بعضها فى البعض الآخر .

ففى الدولة الحديثة كان الإله الأكبر هو « آمون » إله طيبة وملك الآلهة . واندمج فيه معظم الآلهة القوية فى مصر وعلى رأسهم إله الشمس « رع » . وعلى ذلك فان آمون وحوريس وخنوم وآتوم كل هذه الآلهة صارت تعتبر فى الدولة الحديثة إلهاً واحداً .

ومع ذلك فإن وجود المعابد المختلفة لكل من هذه الآلهة يجعلنا نعتقد أن فكرة التوحيد بينها لم تكن إلا أقوالا شعرية جوفاء وغير ذلك فإن كهنة آمون قاوموا — بطبيعة الحال — هذه النظريات التوحيدية المضادة لتعدد الآلهة فى الدولة الحديثة لأنهم كانوا على درجة كبيرة من الثراء وخشوا أن تطيح هذه النظريات بثرائهم الطائل .

ويذكر التاريخ محاولة وحيدة عملية للقضاء على تعدد الآلهة قام بهذه المحاولة ابن أمنحوتب الثالث آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة العظام وهو المشهور باسم « أخناتون » .

ولقد انطوت محاولة هذا الملك على استبدال جميع آلهة العصور السابقة بإله واحد سماه «آتون الحى العظيم » .

ولعل القارئ يود أن يعرف شيئاً عن تاريخ هذا الإله وفى الواقع لم يذكر هذا الاسم بين الآلهة المصرية إلا مرات معدودات على أنه إله محلى ضئيل الشأن عبد فى عصر الدولة الوسطى ( حوالى ٢٠٠٠ ق . م ) فى قرية صغيرة من القرى المجاورة لمدينة هليوبوليس وبقى مهملا لا نعرف عنه شيئاً حتى جاء هذا الملك المتحمس ورفع من شأنه وجعل من عقيدته ديناً رسمياً للبلاد .

ويجدر بنا هنا أن نقول بأن الملك تحوتمس الرابع ( ثامن ملوك الأسرة الثامنة عشر ) كان أول ملك جاهر بالتعبد إلى صورة من صور هذا الإله . ثم جاء بعده الملك امنحوتب الثالث وبنى بعض المعابد لهذا الإله فى طيبة ومنف .

ويبدو أن هذا الملك الأخير كان مدفوعاً بحب زوجته « تى » المشهورة ، التى سلبت لبه بجمالها . واحتفل بزواجه منها احتفالا لم يذكره التاريخ لأى ملك آخر . وجعل منها الزوجة

الملكية الأولى برغم أنها لم تكن من سلالة ملكية .

وعند ما تولى أمنحوتب الرابع بن أمنحوتب الثالث من زوجته « تى » العرش لقب نفسه كبير كهنة ( « رع – حور – آختى » ، المبتهج فى جبله المضىء واسمه « شو » الذى هو اسم « آتون » )

ومعنى هذا أن الملك إخناتون قد رأى فى هذا الإله صورة معنوية غير مجسدة تسكن الجبل المضىء ( بمعنى الأفق ) .

وفى أوائل أيام حكمه كان هذا الملك يتعبد إلى كل من الإلهين « آمون » و « آتون » . عبد الأول بصفته ملكاً على مصر وتعبد الى الثانى بصفته الشخصية .

ويظهر من بعض الوقائع التاريخية أن كهنة « آمون » عز عليهم أن يستمر هذا الملك الشاب الضئيل الجسم المريض – الذى يكاد يبدو كما لو كان معتوهاً – فى التقرب الى ذلك الإله الدخيل « آتون» فأخذوا يحيكون حوله المؤامرات بل حاولوا عدة مرات اغتياله – فأدى هذا إلى نتيجة لم يكن يتوقعها كهنة « آمون » إذ شن عليهم إخناتون حرباً شعواء لا هوادة فيها . وتعقبهم وشتت شملهم وصب جام غضبه على الإله « آمون » .

وقصارى القول أن ثورة الغضب التى اجتاحت إخناتون جعلته يتعقب « آمون » وجميع الآلهة القديمة المندمجة فيه ولا

نجد لهذه الثورة مثيلا إلا فى تاريخ التعصب . فقد محا رجال الملك أسماء « آمون » وصوره حيثما وجدت . وكان أتباعه يتسللون حتى إلى بطون المقابر ليصبوا غضبهم على الإله البغيض .

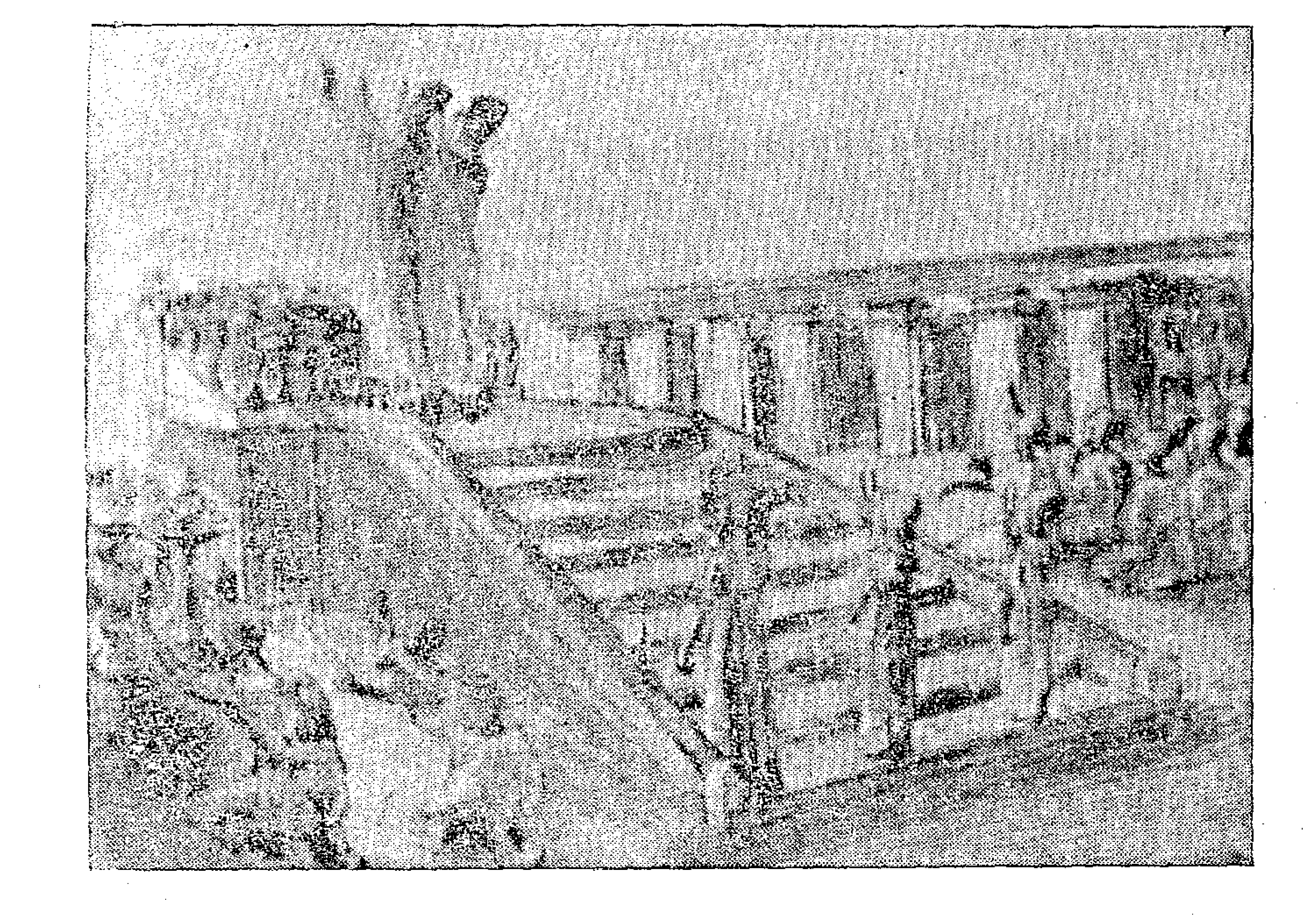
ولا غرابة إذن ، إذا كره الملك عاصمة ملكه طيبة مقر عبادة « آمون » وزملائه من الآلهة الأخرى فهجرها وأمر بتشييد عاصمة جديدة لتحل محل مدينة طيبة الدنسة .

* * *

وشيدت مدينة ( تل العمارنة ) فى مصر الوسطى بالقرب من ملوى . ومن هذه المدينة انبثقت أشعة عصر جديد كله مجد وكله فخار .

فهنا نبت الدين الجديد الذى يوحد بين العبادات ويطلب إلى المصريين أن يتعبدوا إلى إله واحد لا شريك له . وهنا أيضاً أدخل الملك أساليب جديدة فى كل مظهر من مظاهر الحياة فى مصر .

وكان الفن من أهم ما تناوله يد التغيير فقد أخذ يرنو إلى تقليد الطبيعة فأصبح فناً واقعياً يستمد مادته مما هو كائن . وبذلك تحرر الفنان من تلك القيود العتيقة الجامدة التى كانت تسيطر على الأسلوب الفنى طوال العصور السابقة .



منظر تصويرى يمثل إخناتون وزوجته يقدمان القرابين إلى إلههم « أتون » فى المعبد ويلاحظ أن المعبد مكشوف وخلو من تماثيل للإله أو أية صورة يرمز بها إليه



منظر تصويرى يمثل اختاتون و زوجته يحتفلان بإقامة اللوحات
الحجرية التى تبين حدود العاصمة الجديدة ( تل العمارنة )

إذن كان للثورة هدفان . الأول إزاحة ذلك الكابوس الذى جثم على صدورهم سنين عديدة من تعدد الآلهة وإقامة الطقوس وتشعبها وتعنت الكهنة . والهدف الثانى كان الجنوح بالفن إلى الناحية الطبيعية البحتة يستلهمها صوره وأخيلته ومعانيه .

وسنحاول هنا أن نثبت ترجمة للأنشودة الكبرى التى دبجها إخناتون لمعبوده الجديد وهى تضفى على هذا المعبود صفات عالمية خليقة بأن يرى فيها كل إنسان – مصرياً كان أو أجنبياً – مثله العليا التى يتطلع إليها كل متعبد تقى .

ويجدر بنا هنا أيضاً أن نشير إلى تلك المشابهة الكبيرة بين كثير من فقرات هذه الأنشودة وبين فقرات أحد مزامير داود وهو المزمار رقم ١٠٤ ، وقد كان هذا التشابه موضع ملاحظة كثير من علماء اللاهوت.

والأنشودة – موضوع الحديث – مأخوذة من مقبرة « آى »[١]

---

(١) هذا الرجل كان يتولى أعلا المناصب فى عصر إخناتون وقد لعب دوراً هاماً أثناء الخلافات الكثيرة التى حدثت فى عصور الملوك الذين تولوا عرش مصر بعد موت إخناتون . وانتهى الأمر به أن جلس هو على العرش بعد أن بلغ من العمر عتياً ، كأحد عباد « آمون » . وانتقل الحكم من بعده إلى المصلح الكبير الملك حورمحب الذى جعل هدفه الأول القضاء على ما أصاب أداة الحكم من تدهور وانحلال .



صورة رائعة تمثل نفرتيتى زوجة إخناتون فى جلسة عائلية مع أطفالها . ويلاحظ قدرة الفنان المصرى على تصوير الحركة عندما حرر الدين الجديد الفن من القيود القديمة .

المنقورة فى الصخر بمنطقة تل العمارنة . ولا نشك فى أنها كانت تنشد كل صباح عند شروق الشمس ومساء عند غروبها فى معبد « آتون » بتل العمارنة .

وها هى ذى ترجمتها :—

« إنك تسطع جميلا فى أفق السماء .

« يا « آتون » الحى . يا بدء الحياة .

« إنك إذا أشرقت من جبل النور الشرقى

« ملأت كل بلد بجمالك

« إنك جميل . إنك عظيم .

« إنك تتلألأ عالياً فوق كل بلد .

« إن أشعتك تغمر البلاد وكل شىء خلقته .

« إنك « رع » الذى تأسر كل من رآك .

« إنك الإله الذى دان الجميع بحبك .

« إنك ناء ولكن أشعتك على الأرض .

« إنك قصى ولكن طبعات قدمك على الأرض هى النهار .

« إذا غربت فى الافق الغربى للسماء .

« أظلمت الأرض وأصبحت كأنها ميتة .

« فيستقر الناس فى حجراتهم وقد غطوا رؤوسهم .

« لا ترى عين عيناً أخرى .

« إذا سلبهم سارق ما تحت رؤوسهم فإنهم لا ينتبهون .
« أما السباع فهى تخرج من جحورها .
« والثعابين تنسل وتلدغ .
« ويخيم السكون على الأرض .
« لأن خالقها قد استراح فى أفقه الغربى .
« تضىء الأرض إذا ما أشرقت من أفقك .
« إذا سطعت فى النهار ك « آتون » تبدد الظلام .
« إذا أرسلت أشعتك . عم الفرح كلا القطرين :
« واستيقظ الناس وقاموا على أقدامهم .
« لأنك أنت الذى تقيمهم .
« فيغتسلون ويلبسون ملابسهم .
« وترتفع أذرعتهم متعبدين لشروقك .
« ثم ينتشرون فى الأرض يباشر كل منهم عمله .
« أما الماشية فهى فرحة بمروجها .
« أما الأشجار والنباتات فهى تزدهر .
« أما الطيور فهى ترفرف خارجة من أوكارها .
« تسبح أجنحتها بحمدك .
« وتقفز الحملان على أقدامها .
« وكل مخلوق حى تهتز أعطافه .

« لأنك تشرق من أجله .

* * *

« وتبحر السفن شمالا وجنوباً .
« وتعج الطرق بالناس .
« لأنك تضىء .
« أما الأسماك فى النهر فتتقافز أمامك .
« إن أشعتك تنفذ إلى أعماق البحر .
« إنك خالق النطفة فى الرجال .
« إنك تعطى الحياة للجنين فى أحشاء النساء .
« تهب الحركة للوليد فى بطن أمه .
« وتسكن من روعه فلا يبكى .
« إنك بمثابة المربية للجنين وهو لايزال فى بطن أمه .
« إنك تهب نسيم الحياة .
« لتحيا به جميع مخلوقاتك .
« إذا خرج الجنين من بطن أمه .
« جعلت من ذلك يوم ولادته .
« ثم تفتح فمه ليتحدث .
« وتدبر ما يحتاج إليه .
« وإذا صاص الفرخ فى بيضته .

« فإنك تهبه الهواء لتبقيه حياً .
« ثم تمده بالقوة حتى يثقب بيضته .
« ويخرج منها وهو يصيص بكل ما لديه من قوة .
« ويسعى على قدميه إذا خرج منها .
« ما أكثر مخلوقاتك .
« وما أكثر ما خفى علينا منها .
« أنت يا إله ، يا أوحد .
« لقد خلقت الارض حسبما تهوى أنت وحدك .
« خلقتها ولا شريك لك .
« خلقتها مع الإنسان والحيوان كبيره وصغيره .
« مع ما يسعى على قدميه فوق الأرض .
« وكل ما يحلق بجناحيه فى السماء .
« خلقت بلاد سوريا والنوبة ومصر .
« وأقمت كل إنسان فى مكانه .
« ودبرت لكل انسان ما يحتاج إليه .
« وجعلت لكل منهم أيامه المعدودة .
« لقد تفرقت ألسنتهم باختلاف لغاتهم .
« كما أختلفت أشكالهم وألوان أجسادهم .
« وهكذا قد ميزت بين الشعوب .

« لقد خلقت النيل فى العالم السفلى .
« ودفعت به إلى (أعلا) حسب مشيئتك .
« لتحيي به البشر يا سيد الجميع .
« لأنك قد خلقتهم لنفسك .
« أنت يا شمس النهار .
« يا عظيما فى جلالك .
« يا من خلقت البلاد البعيدة .
« وجعلتها تحيا هى الأخرى .
« لقد جعلت نيلا يهبط إليهم من السماء .
« وجعلت له أمواجاً تتدافع على الجبال كالبحر .
« فتجد حقولهم ما تحتاج إليه من الماء .
« ما أعظم تدبيرك يا سيد الأبدية .
« وهبت نيل السماء لشعوب الجبال .
« فأحييت حيوانها ومن يسعى فوق أقدامه .
« أما النيل فهو يخرج لمصر وحدها من العالم السفلى .
« فتغذى أشعتك كل حديقة .
« وينمو كل نبات إذا ما أشرقت عليه .
« لقد خلقت الفصول لكى تحيي كل مخلوقاتك .
« وجعلت لهم الشتاء ليتعرفوا على بردك .

« ثم جعلت لهم الصيف ليتذوقوا حرارتك .

« وخلقت السماء البعيدة لتشرق فيها .

« ولترى منها كل ما خلقته أنت وحدك .

« أنت الوحيد الذى يشرق فى صورته كآتون الحى .

« ساطعاً متلألئاً رائحاً وغادياً .

« لقد خلقت من نفسك تلك الأشكال التى تعد بالملايين .

« مدناً وقرى وقبائل وجبالا وأنهاراً .

« كل العيون ترنو إليك .

« لأنك أنت « آتون » الذى يشرق فى النهار على الأرض .

« إنك فى قلبى .

« ليس هناك من يعرفك غير ابنك إخناتون .

« إنك أنت أمددته بالحكمة .

« إنك أنت الذى ثقفته بتدبيراتك وقوتك .

« إن الدنيا بين يديك .

« ولا غرابة فأنت صانعها .

« إذا ما أشرقت عاش الناس .

« وإذا ما غربت ماتوا .

« إنك أنت الحياة .

« ولا يحيا الناس إلا بك .



لاعب القيثار ينشد إحدى الأناشيد الدينية . ويلاحظ دقة الفنان فى تصوير هذا الموسيقى الضرير .

« تستمتع العيون بجمالك حتى تغرب .
« فإذا غربت فى الأفق الغربى .
« ترك الناس أعمالهم كلها .
« لقد خلقت العالم .
« وجعلت الناس يحيون .
« كل ذلك من أجل ابنك الذى نشأ منك .
« ملك مصر العليا ومصر السفلى .
« الذى يحيا فى الحق .
« سيد الأرضين إخناتون، الذى يحيا الى الأبد .
« وكذلك من أجل زوجته المحبوبة .
« سيدة الأرضين نفرتيتى .
« التى تحيا وتزدهر دائماً وإلى الأبد . »



راقصة تلعب العود مسترسلة فى الغناء

# فهرس الكتاب

# أولادنا

مجموعة من القصص الرشيقة المفيدة يجد فيها الطالب فى جميع مراحل النمو المتعـــة والثقافـــة وسمو النفس .




تصدرها

دار المعارف بمصر

بإشراف الأستاذ محمد فريد أبو حديد